السنة العاشرة   العدد ٣   ١ شباط   سنة ١٩٠٧

المشرق

منشور الاب الاقدس للفرنسويين

الى اخوتنا المحترمين كرادلة ورؤساء اساقفة واساقفة فرنسة والاكليروس والشعب الفرنسي

ايها الاخوة المحترمون والابناء الاعزاء السلام والبركة الرسولية

ان الحوادث الخطيرة التي تتهافت في وطنكم الشريف تدعونا من جديد لتوجيه خطابنا الى كنيسة فرنسة كي ننشطها في نكباتها ونعزيها في احزانها. فان ميل قلب الاب وانعطافه نحو بنيه يكون اشد واقوى عند ما يكونون في الحزن والالم عندما وعليهِ اننا نراكم تقاسون الاوجاع تفيض ولا ريب من اعماق قلبنا الابوي عواطف الحنو والحب فتسير اليكم بشدة اعظم وتلطف اوفر

تلك الاوجاع ايها الاخوة المحترمون والابناء الاعزاء لها الان صدى مؤلم في الكنيسة الكاثوليكية كلها. لكننا نحن نشعر بها اكثر من الجميع ونشاطركم اياها بحب يناسب نكباتكم قدرًا وكانهُ يزداد كل يوم عن يوم

على ان المولى القدير قد مزج بهذه الغموم المرَّة تعزية لفؤادنا عذبة وثمينة جدًا. وهي التعزية التي سببها لنا تمسككم المتين بعرى الكنيسة المقدسة وانقيادكم التام لهذا الكرسي الرسولي واتحادكم المحكم وتكاتفكم الصادق. ولقد كنا على ثقة من هذا الانقياد وهذا الاتحاد لاننا كنا اعلم وادرى بشهامة وبسالة القلوب الافرنسية من ان نخشى بينكم انفصالاً او وهناً في معامع الوغى. لكن ذلك لا ينقص شيئاً من فرحنا العظيم اذ نعاين المشهد البديع الذي تمثلونه الان ونثني عليكم اسمى الثناء امام كنيسة الله كلها. واننا نشكر عن ذلك من صميم فؤادنا رب المراحم ومصدر كل خير

ومما يجعل الاستغاثة باله الجود اعظم ضرورة هو ان الحرب التي أُشهرت علينا عوضاً عن ان تسكن ثائرتها لا تزال تشتد هجماتها وتتسع ساحتها. ليس الايمان المسيحي هو وحده ما يسعون الان في استئصاله من القلوب بل ايضاً كل عقيدة تجعل الانسان يرتفع فوق آفاق هذا العالم وتوجه بذاتها الحاظه نحو السماء. لم يبقَ سبيل للغرور قد اشهروا حرباً عواناً على كل ما يفوق الطبيعة علماً منهم بان وراء الحقائق الفائقة الطبيعة يوجد إله ولأن ما يحاولون نزعه من قلب الانسان وعقله هو الله

هذه الحرب ستكون عنيفة دون مهادنة ممن يسعرون نيرانها. فمن الممكن بل من المنتظر ان تشتدَّ اوجاعكم وتتفاقم بلاياكم بدوام هذه الحرب وامتدادها. وعليه فمن الحكمة ان تستعدوا لها. وستفعلون لا محالة بثقة وبسالة متيقنين انكم مهما اشتدت سورة الحرب ستكونون انتم الظافرين

وعربون ظفركم هذا هو الاتحاد. اتحادكم مع بعضكم اولاً ثم اتحادكم مع هذا الكرسي الرسولي وهذان الاتحادان يصيرانكم منيعين تتحطم دونكم كل سهام العدى

ولم يكن اعداؤنا على غير بصيرة من هذا الامر. فانهم بادئ بدء. وباصابة نظر عظيمة قد اختاروا هدفهم والغرض الذي يرمون اليه اي فصلكم اولاً عنا وعن كرسي بطرس ثم زرع بذر الشقاق فيما بينكم

ومنذئذٍ لم يعدلوا عن خطتهم هذه. بل لم يزالوا يعودون اليهـا حيناً بعد حين متوسلين بكل الوسائل لانجاحها فمنهم من تذرع بابرع اقاويـل التمليق والتقرب ومنهم من آثر الشراسة والقحة فكم من وعود غرّارة وترغيبات بالشقاق مخجلة وكم من التهديد وسوء المعاملة كل ذلك قد جروا عليه وعملوا بـه لنوال بغيتهم . لكن ثباتكم وامانتكم النيرة قد اذهبت مساعيهم ادراج الرياح

فعندها ارتأوا ان احسن الوسائط لفصلكم عنا هي ملاشاة ثقتكم بالكرسي الرسولي. فما ترددوا في ان يشنعوا بافعالنا في الندوة وفي الجرائد مستجهلين حسن نياتنا وبعض الاوقات مفترين علينا الافتراءات الكاذبة

زعموا ان الكنيسة تسعى في اسعار نار الحرب الدينية في فرنسة وان الاضطهادات العنيفة هي غاية ما ترغبه. فياما اغرب هذه التهمة. الكنيسة التي قد انشأها من اتى العالم ليسكن هائجه ويصالح الانسان مع خالقه. الكنيسة رائد ورسول السلام بين الناس لا تستطيع ان ترضى بالحروب الدينية دون ان تجحد دعوتهـا السامية وتكذبها في اعين الجميع . وهي على عكس ذلك لم تزل ولن تزال محافظة كل المحافظة على هذه الخطة خطة الوداعة وطول الاناة والمحبة

على ان العالم كلهُ يعلم اليوم علم اليقين ان سكينة الضمائر ان كانت قد اضطربت في فرنسة فما ذلك فعل الكنيسة بل اعداء الكنيسة. واصحاب العدل والانصاف حتى الذين لا يعتقدون معتقدنا يقرُّون بانهُ ان ثارت الان في وطنكم العزيز حرب دينية فليس ذلك لان الكنيسة قد رفعت راية المناضلة والمعاداة بل لان اعداءهـا هم الذين جاهروا بالحرب واشهروها عليها

تلك الحرب لا تزال الكنيسة تقاسي مضضها لاسيما من خمس وعشرين سنة . هذا هو الحق يثبته كل ما نُشر وأُعيد مراراً نشرهُ في الجرائد وفي المؤتمرات وفي المجتمعات الماسونية وفي الندوة الافرنسية ذاتها. يثبته ايضاً الطعن الذي وُجه عليهـا بطريقة منتظمة متواصلة وبعنف كان يزداد يوماً بعد يوم

هذه كلها امور جلية لا يمكن انكارها ولا يقوى على تكذيبها قول قائل .

نعم ان الكنيسة لا ترغب في الحروب والحرب الدينية تكرهها اكثر من سواها ومن قال عكس ذلك فقد اهانها وافترى عليها كذباً

وكذلك لا ترغب الكنيسة في الاضطهادات العنيفة . انها تعرف ما هي الاضطهادات فانها كابدت اهوالها في كل زمان ومكان . هي التي عاشت قروناً عديدة خائضة في دماء ابنائها يحق لها ان تقول بعزة مقدسة انها لا ترهب اضطهاداً وانها كلما قضت الاحوال به تقبلهُ وتقاسي مضضه

لكن الاضطهادات في ذاتها هي شرٌّ من حيث انها جور وظلم ولانها تعيق الانسان عن ان يعبد ربهُ براحة وحرية . فلا تستطيع الكنيسة ان ترغبها حتى ولا لاجل الخير الذي تنتجهُ العناية الالهية في حكمتها السامية بواسطتها

وعلاوة على ذلك ليست الاضطهادات شرّاً فقط فانها ايضاً عذابٌ وألم . وهذا داعٍ آخر يحمل الكنيسة أحن الامهات على ان تكره الاضطهادات رحمةً بنيها وشفقةً عليهم

ولكن ذلك الاضطهاد الذي يتهمون الكنيسة بالدفع اليهِ والذي يعلنون بانهم لا بدّ سيحرمونها من مجده هو في الحقيقة امر واقع ينالها . أما انهم من ايام قلائل قد طردوا الاساقفة من دورهم حتى اجلَّهم بالعمر وبالفضيلة؟ ألم يشتتوا شمل طلبة الكهنوت من المدارس الاكليريكية الكبرى والصغرى ؟ اما شرعوا الان بنفي كهنة الرعية من بيوتهم ؟ فلعمري ان العالم الكاثوليكي كله قد نظر الى هذا المشهد بحزن عظيم ولم يتردد في تسمية هذه الفعال الفظيعة بالاسم الذي يليق بها

اما بخصوص الاملاك الكنائسية التي اتهمونا باننا تركناها فيجب الانتباه الى ان هذه الاملاك منها ما كان ملك الفقراء ومنها ما كان مخصصاً وبوجه اقدس لمساعدة انفس المتنيحين . فما كان اذاً يسوغ للكنيسة لا ان تتركها ولا ان تسلمها . وما كان لها الا ان تراها تُنزع من يدها كرهاً بالقوة والعنف

ومن يا ترى يصدق انها باختيارهـا وبدون ان تقضي عنها احكام لا مناص منها قـد تخلّت عما كانت أودعته على تلك الصفة وما كانت اليـه في حاجة ماسة لممارسة العبادة والعناية بالبنايات الدينية وتهذيب طلبة الكهنوت والقيام بمعيشة خدمة المذابح. انها لما أُجبرت بدهاء الدهاة على ان تختـار بين الخراب المادي والمخالفـة برضى لقوانينها التي هي من الله عندئذ فقط رضيت بألم الفقر ولم تسمح بالتعدي على حقوق الله فيها. ومن ثمّ قد سُلبت منها املاكها سلبًا وليست هي التي تخلت عنها

وبناء عليهِ من زعم ان الاملاك الكنائسية مهملة في زمن معين لان الكنيسة في ذلك الزمن لم تنشئ في داخليتها هيئةً جديـدةً واشترط ان تكون تلك الهيئة الجديدة في حالة تخالف مخالفة بينة لنظام الكنيسة الالهي بحيث ترضى الكنيسة بان ذلك النظام يخول تلك الجمعيات حقوقاً من شأن السلطة الكنائسية ان ترفضهـا ثم اعطى تلك الاملاك لغرباء كأنها اصبحت لا مالك لها واخيرًا اعلن انهُ بعمله ذلك لم يسلب الكنيسة بل انما تصرف باملاك تركتها وتخلت عنها فهذا ليس فقط يستند في مزاعمه الى حجج ساقطة واهية بل علاوة على ذلك يقرن الهزء والسخرية باقسى الغصب وافظع الجور. نعم هو اغتصاب واختلاس. وقد سعى باطل السعي من حاول التمويه في امره اذ زعم انهُ لم يوجد هيئة ادبيـة يمكن ان تتعلق بها تلك الاملاك. فان الدولة لها ان تعطي الشخصية المدنية لمن يقتضي الخير العام ان تعطى لهُ وللمؤسسات الكاثوليكية كما لسواها. وعلى كل الاحوال قد كان يسهـل على الدولة ألّا تشترط لتأليف الجمعيات الدينية المقامة لخدمة الكنيسة شروطاً تناقض مناقضة صريحة نظام الكنيسة الالهي.

والحال ان هذا هو بالذات ما فعلوه في ما يتعلق بالجمعيات الدينيـة فان ما قرره النظام بشانها قد جعلها تعاكس معاكسة بينة حقوق الكنيسة الجوهرية الاساسية ولاسيما حقوق الرئاسة الكنائسية ذلك الاساس الذي اقام الله نفسه كنيسته عليهِ ولا ينقض. فضلًا عن ان هذا النظام شطّ اي شطط ان كان في امر ممارسة العبادة او في

شان الاملاك وامتلاكها وتدبيرها . واخيرًا ليست هذه الجمعيات خارجة عن دائرة السلطة الكنائسية مستقلة عنها فقط بل انها فوق ذلك قد جُعلت تحت سيطرة وحكم السلطة المدنية. وهذا هو الذي حملنا في رسائلنا السابقة على رفض ورذل هذه الجمعيات المذهبية رغماً عن الخسائر المادية الجسيمة التي يسببها ذلك الرفض

وقد نسبونا الى التعصب ومناقضة اعمالنا باعمالنا فزعموا اننا رفضنا ان نسمح في فرنسة بما قد سُمح بهِ في المانية . هذه ايضاً تهمة باطلة لا حظ لها من الانصاف فانهُ وان كان النظام الذي سُنَّ في المانية يستوجب الرفض من اوجه عديدة وما قبل الكرسي الرسولي الّا التساهل بهِ فقط رغبةً في منع شرور اعظم فمع ذلك يوجد بون عظيم بين الحالتين والنظام الذي سنتهُ المانية يعترف اعترافاً صريحاً بالرئاسة الكاثوليكية على خلاف ما ترى في النظام الافرنسي

اما التبليغ السنوي لممارسة العبادة فانهم لما طلبوه منا لم يقدّموا لنا الضمان والتأمين القانوني كما كان حقنا ان ننتظر

على انهُ ولو كان وجود عباد الله في الكنائس ليس لهُ مبدئياً صفات الاجتماعات المدنية فيعامَل معاملتها وان كان تنزيله منزلتها ضربٌ من الاهانة فان الكنيسة ربما كانت اخيرًا تساهلت ورضيت بهِ ولكن اذ قرروا ان خوري الرعية او خادم الهيكل لا يكون من الان وصاعدًا في كنيستهِ الّا كمنتفع ليس لهُ شيء من الحقوق القانونية ولا يستطيع ان يباشر اي عملٍ اداري كان جعلوا خدَمة الدين عند ممارسة وظائفهم نفسها في حالة مهانة محتقرة مبهمة بحيث ان الكنيسة اصبحت لا تستطيع الرضى بذلك التبليغ

بقي القانون الذي صادقت عليهِ الندوتان . فان نظرتَ اليهِ من حيث الاموال الكنسية والاوقاف وجدت انهُ قانون اغتصاب واستصفاء. اذ اتمَّ تجريد الكنيسة عن مقتناها . نعم ان منشئها الالهي ولد فقيرًا في مذود ومات فقيرًا على صليب وهي ايضاً قد ألفت الفقر منذ مهدها الا ان الاموال التي كانت في ايديها كانت تملكها ملكاً تاماً ولم يحق لاحد ان ينزعها من حكمها . وملكها هذا المبني على حقوق راهنة من كل

وجه كانت الحكومة نفسها قد قررتهُ واثبتتهُ فلم تستطع ان تنهك حرمته

واذا اعتبرتَ هـذا القانون من حيث الدين وواجباته المقدسة وجدته يبلبل كل نظـام . اما الذي احدثهُ فالارتياب والتحكم . ترتاب العقـول وهي لا تعلم ما يجري بمعابد الدين اذ تكون عرضة في كل وقت لان تخصَّص لغير غايتها المقدسة واليوم يجهـل ارباب الدين والمؤمنون اتبقى هذه المعابـد في حوزتهم والى اي زمن . اما التحكم فيظهـر من الشروط التي اشترطوها للتمتع بهذه المعابـد وهي شروط واهنة لا اساس لها . فان القيـام بالفرائض الدينية ليختلف في فرنسة على اختلاف مديرياتها ونواحيها لا بل يصبح الكاهن في كل رعية تحت حكم الدائرة البلدية ومن ثمَّ يكون الخصام على الدوام ممكناً بينهما وذلك في كل اطراف الدولة . وعلاوة على ذلك يلزم الكاهن ورعيتهُ ان يقوموا بكل الاعباء مهما كانت ثقيلةً في وقت ما تُحصر المالية المختصة بها حصراً فاحشاً . فـلا عجب اذا كان هذا القانون الذي سُنَّ الامس قـد اصبح اليوم هدفاً لانتقادات عديدة ومرَّة وجَّهها الى مشترعيه رجالٌ من كل الاحزاب السياسية على اختلاف معتقداتهم الدينيـة وكفاك بهـذه الانتقادات دليلًا للحكم على غاية وماهية هـذا القانون

فمما اوردنا لكم ايها الاخوة المحترمون والابناء الاعزاء يسهل عليكم ان تدركوا كم تتفاقم بهذا النظام وطأة النظام المسنون سابقاً في فصل الكنيسة ومن ثم لا نستطيع الّا نبذه وتزييفه

وان اعملتَ النظر في نص بعض بنود القانون المذكور وجدتهُ مشتبهاً مبهماً غير مدقق فيلوح لكل ناظر غرضُ اعدائنا من تدوينهِ . وما غايتهم الا ان يقوّضوا اركان الكنيسة ويسلبوا فرنسة دينهـا المسيحي كما قلنا سابقاً . وذلك بحيث لا يشعر الشعب ولا يعير الامر بالاً . فلو كان مشروعهم يعتقده القوم خيراً لهم كما زعموا لما تردَّدوا في متابعتهِ على عيون الاشهاد وفي قبول المسئولية على نفسهم علانيةً . ولكن هيهات ان يرضوا بهذه المسئولية بل تراهم يدرأون نفوسهم منها وينبذونها عنهم ولبلوغ هـذه الغاية يلقـون

بطانلها على الكنيسة ضحيتهم. فهذه لعمري اقوى حجة واظهر بينة على ان عملهم عمل مشؤوم فاسد لا يرضى بهِ الوطن. وعليهِ بئس ما يصنعون اذ يسعون بتضليل العقول زاعمين انهم لمَّا اضطرونا بالرغم عنا ان نزيّف السنن التي وضعوها صرنا المطالبين بالويلات الحاضرة التي جرُّوها على وطنهم. وقد ردّها كل ذي عقل صائب حتى صار نفور الجميع منها اشبه ببحر تتهددهم امواجه المتصاعدة. لكن شكاياتهم في حقنا باطلة لا تأتيهم بجدوى

اما نحن فقد قمنا بواجباتنا المقدسة كما كان فعل غيرنا من الاحبار الرومانيين لو كان في مقامنا فان الرتبة السامية التي شاء العلي ان يرقينا اليها على غير اهلية منا لا بل مجرد ايماننا في السيد المسيح قد قضى علينا بان نسلك كما سلكنا. وما كنا لنجري على خطة اخرى دون ان نطأ تحت الاقدام واجبات الذمة ونحنث باليمين الذي اقسمنا بهِ يوم جلوسنا على السدة البطرسية ودون ان ننقض نظام السلطة الكاثوليكية الذي وضعهُ ربنا يسوع المسيح لكنيستهِ ومن ثم نحن منتظرون دون خوف حكم التاريخ في استقامة طريقتنا. فسوف يقول يوماً اننا شخصنا بانظارنا الى الله لندافع عن حقوقهِ العلوية ولم نقصد البتة ان نذلل السلطة المدنية او نعارض احدى هيئات الحكم والسياسة. وانما كانت غايتنا ان نصون من كل يد اثيمة البناء الذي شيده سيدنا ومعلمنا يسوع المسيح. سيقول التاريخ اننا ذببنا عنكم ايها الابناء الاحباب بكل استطاعة تعطفنا المستفيض وانَّ غاية ما طلبناه وما لا نزال نطلبهُ للكنيسة جمعاء وكذلك لكنيسة فرنسة التي هي ابنتها البكر واحد اقسامها المعدودة انما هو صيانة نظام سلطتها الدينية وعدم انتهاك حقوقها في اموالها واستقلالها. فلو كان مطلوبنا هذا مرعياً لما أصيب السلام الديني في فرنسة بخلل وايٌّ يوم يرضخ لهذا المطلوب اهل الامر سوف يعود هذا السلام المرغوب. وسيقول التاريخ اخيرًا اننا لمَّا صرحنا لكم لعلمنا بمروتكم وشهامة نفوسكم ان ساعة تضحية النفس قد دقت انما اردنا ان نعلن باسم الرب الضابط الكل انهُ ينبغي للانسان في عالمهِ الحاضر ان

يشغل نفسه بشواغل اسمى وارفع من امور هذه الحياة الزائلة وان الفرح الاقصى وسرور النفس الثابت في هذه الارض انما هو القيامُ بالواجب يتممهُ الانسان بنعمته تعالى رغماً عن كل العوائق فيعظم خالقهُ ويعبده ويحبه دون ان يعبأ بشيء.

ولما كانت ثقتنا بالسيدة الطاهرة ابنة الاب ووالدة الابن وعروسة الروح القدس ان تنال لنا من الثالوث الأقدس المسجود لهُ اياماً اسعد واين نهديكم من صميم الفؤاد كعربون السلام والهدوء بعد الانواء كما لنا الامل بركتنا الرسولية لكم ايها الاخوة المحترمون ولجميع اكليروسكم ولكل الشعب الفرنسوي

أعطي في رومية بجوار كنيسة القديس بطرس في يوم عيد الغطاس ٦ ك٢ سنة ١٩٠٧ وهي السنة الرابعة لحبريتنا بيوس العاشر

المذاكرات الجغرافيَّة في الاقطار السوريَّة

للاب هنري لامنس مدرّس التاريخ والجغرافية في المكتب الشرقي

تمهيد

تجوَّلنا في انحاء لبنان مع قرَّائنا الكرام فسرَّحوا معنا الابصار في ما يحتويه هذا الجبل من الآثار فوجدوا في هذا النظر فائدةً ولذَّة. ومذ ذاك الحين ألحّوا علينا بان نوسّع نطاق ابحاثنا فتشمل بدروسنا كلَّ انحاء الشام فها نحن نلبّي ملتمسهم ونباشر كتابة فصولٍ متابعة في هذا الشأن نُطلق عليها اسماً جامعاً فندعوها « المذاكرات الجغرافيَّة في الاقطار السوريَّة »

وقبل ان نُقدم على العمل ندوّن هنا خلاصة مشروعنا ليكون القرَّاء على بيّنة مما قصدناهُ. نفتتح اليوم سياق مذاكرات شتّى نتابعها على صفحات المشرق بسرعة كافية مع مراعاة الظروف والاحوال. ويكون ابتداء كلامنا في ابحاث عموميّة عن موقع سوريَّة الجغرافيّ وما نالته هذه البلاد في سالف الزمان لفضل مركزها من المنافع والمرافق وما ينتظرها ايضاً بسببه في المستقبل من النجاح. ثمَّ ننتقل الى وصف صورتها وتخطيطها ثم نذكر جبالها ومياهها مع البحر الذي يماسُّ سواحلها ثمَّ نصف مواليدها

من معادن ونبات وحيوان. واذا انتهينا من هذا النظر العموميّ ننتقل ان شاء الله الى اوصاف كلّ جهة بجدتها ونعرّف خواصّ حواضرها وتاريخ ابنيتها القديمة وآثارها الجليلة وكلّ ذلك على التقريب يوافق الفصول التي خصصناها بلبنان واحواله

فمن هذا الرسم الوجيز ترى سعة الموادّ التي تشملها ابحاثنا اذ لا تتناول فقط الاحوال الحاضرة بل تمتدّ ايضاً الى ما سلف عهده. وأملنا انّ القارئ يصحبنا في هذه الرحلة الطويلة دون ان يأخذه الملل ولا ريب انهُ يستدرك هذا الخطر ان صرف نظره الى ما يقال ليس الى من يقول لأنّ الموضوع ذو بال كثير الشُّعَب متعدّد المناظر يعاين فيه القارئ مع طوله مشاهد فتّانة تتناوب وتتوالى فيقرّ اليها بصره ولا يحسّ بسأم. وزد على ذلك انّ الذي نصفهُ ليس بامرٍ غريب عن القرّاء لكنّهُ امر قريب تحنّ اليه اضلاعهم وتمتّهُ مشاعرهم اعني سوريَّة مسقط رأسهم ووطنهم العزيز فكل ما ينوط بهِ يهمّهم شأنهُ ويجدر بهم الالتفات اليهِ. وهذا الذي حدانا الى مباشرة العمل كي تزيد قرّاءنا اعتبارًا لبلادهم اذا ما عرفوا كلّ ما اودعهُ الخالق من المحاسن والكنوز. فمن الله نطلب ان يمدّ الينا يد المساعدة لنقوم بهذا المشروع قياماً اهلاً بسموّ شأنهِ فنحقق اماني القرّاء فينا

وها نحن نصدّر مقالاتنا بفصل اعداديّ نبحث فيهِ عن موقع سوريَّة جغرافيا لنستدلّ بهِ على تاريخها القديم. ولهذا الفصل مقدّمة غاية في الاعتبار تعود الى اصل العترة البشريَّة كلّها. اعني

١

سوريَّة ومهد الجنس البشري

قال اتيان لامي (١ ما تعريبهُ: « انّ في العالم بلادًا تتصافح فيها اقطار اوروبَّة وآسية وافريقية. وتعيش بالالفة على السواحل نفسها. هي بلاد بريَّة وبحريَّة معاً. هي سوقٌ جامعة لمراقي مئة مدينة ومرفأ تتبادل فيهِ القارات الثلاث محصولاتها المتنوّعة - هناك تتصلّب وتتوارد الطرق التجاريَّة التي فتحها العالم القديم. هي اقدم موطن يعاين فيهِ الانسان آثار اقدامهِ. فيها نشأت اخصّ الديانات الشائعة. وخلاصة القول لستَ تجد

(١) في مقدّمة كتابهِ المعنون « La France du Levant »

حيثما نظرت بلداً اصغر من هذا في مساحتهِ قد اختلطت فيهِ وتزاحمت امم اكثر وديانات اعظم وآثار اخطر »

نعم القول يسرُّنا ان ننقلهُ عن كاتب بليغ فنحلِّي بهِ مطلع هذه الدروس التي افردناها لسوريَّة وآثارها

ولا مراء انَّ سوريَّة قبل كلّ بلادُ القدَم بلاد الزمن السابق للتاريخ. فليت شعري أليس لها علاقة مع اوَّل منازل البشر؟ انَّ الانسان منذ الوف من السنين قد طبع في ذهنهِ ذكر فردوس ارضي ظهر فيهِ جنسهُ فاين هي يا تُرى هذه جنَّة عدن؟ افي العراق؟ افي سهول ما بين النهرين؟ افي غوطة دمشق وبقعتها الفيحاء كما ارتأى القديس اغناطيوس منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في كتاب رياضاتهِ الروحيَّة؟ هذه الآراء وغيرها قد كُتبت فيها التآليف الواسعة بل تجفّ المحابر قبل ان يُستقصى فيها البحث او يُكشف سرّها بالتمام امَّا كون الفردوس في تخوم سوريَّة فهذا احد الآراء الثمانين التي قال بها الكتبة (١ يؤيّده كون الفرات يجري في بعض جهات هذه البلاد

في النصف الاوَّل من القرن السابق نزل عند لحف لبنان شاعر كان اصاب الشهرة في قومهِ يُدعى لامرتين. فاعجبهُ طيب هواء البلاد فاتَّخذ بيروت لهُ موطنًا وكان يخرج منها الى انحاء الشام ليزورها ويدرس آثارها. ففي بعض مسيرهِ رقي أكمة الاشرفيَّة فوق كنيسة مار متري فاجال نظرهُ مليًا في المشاهد التي كانت تحدق بهِ فاخذت بمجامع قلبهِ وكادت تسحر لبَّهُ. فكان يرى البحر حول بيروت من جهاتها الثلاث كانهُ المنطقة المزركشة بالارجوان والذهب. وكان ينظر على شمالهِ لبنان الناطح بقرونهِ السحاب وبين هذا الجبل وموقف الشاعر كانت تنبسط السهول السندسيَّة الغنيَّة بمزارعها منها غابات الزيتون عند شويفات وغابة الصنوبر. وكان يجد في ارمال بيروت صورة ملطَّفة لمفاوز بلاد الصحراء. نعم انَّ في العالم محاسن اجمل وابدع ولكن أيوجد في العالم امكنةٌ عديدة جمع فيها الله كلَّ هذه المناظر المتباينة والرؤى الفاتنة في دائرة ضيّقة كهذه؟ ذلك ما شغل فكر الشاعر زمنًا طويلًا فبقي غائصًا في تأملاتهِ الى ان عاد الى نفسهِ فهتف: «حقيقةً لانَّ الله قد وضع في هذا المكان اكثر ممَّا يمكنهُ الانسان

١) راجع الصفحة ١٠ من كتاب للعلاَّمة دلتش حيث أتسع في اقوال العلماء عن مكان الفردوس والصفحة ٤٣ (F. Delitsch : *Wo lag das Paradies?* 43)

ان يتصوَّرهُ فانّي كنتُ اتوق الى مرأى فردوس عدن فها هوذا بعينهِ (١)

لا أُريد ان احكم في هذا القــول اهو عين صواب او هو بالحري وصف تخيُّلي لشاعر متفنّن وليست غايتي ان أنسب لهُ حلّ هذا المشكل العويص. ولكن يمكننا ان نعتبر هذا البحث من وجه آخر فنحصرهُ في حدود معلومة. ولا يخفى عليَّ بانهُ يلذُّ القرّاء ان يستقروا اخبار الشعوب جيلًا بعد جيل ليعرفوا مهد الجنس البشري ويتبيَّنوا موقع الفردوس الارضي. لكنَّ هذا البحث يخرج عن حيّز الممكنات وانّما نستطيع ان نقتصر في البحث عمّا ورد في تاريخ السلالتين العظيمتين من السلالات البشريّة اللتين لعبتا في العالم اشرف الادوار نريد الامم الساميّة والهندواوربيّة فنقول:

انَّ المذهب الشائع بين العلماء في موطن بني ســام الاصلي أنهم ظهروا في شبه الجزيرة التي موقعهــا بين خليج العجم والبحر الهندي والبحر المتوسّط اعني في مربّع عظيم تشغل سوريّة جهتهُ الغربيّة. لا نجهــل انَّ غيرهم من المستشرقين يجعلون اصل الساميّين في افريقية ويزعمون انهم تخطَّوا منها الى آسية. فرأيهم هذا يستدعي بحثًا لا يسعنا الآن الخوض في غمرهِ. وما لا شبهة فيــهِ انّ مهد الساميين التاريخيّ حيث يظهرون في نور التاريخ فنتبع اعمالهم واخبارهم دون ريب ونميّز خواصّهم التي تفرزهم عن غيرهم من الامم في القرون التالية قد كان موقعهُ في المربّع الكبير الذي ذكرناهُ آنفًا. سواء كان هذا المقام محلّهم الاصليّ ام لا ومنــهُ انتشروا في بقيّة انحاء آسية المتقدّمة ثمّ الى كلّ انحاء المعمور. ومن اراد ان يتجاوز هذه الحدود التاريخيّة سار في مجاهل على غير هدى وتعرَّض للضلال والعثرة. ولعلّ تقدّم العلوم يأتينا يومًا بوسائل جديدة لتلطيف هذه الظلمات الكثيفة (٢)

امّا الســلالة الهندواوربيّة التي تهمّنا من وجوه متعدّدة فانّ رأي العلماء في اصلها كرأيهم في الساميين. فانّهم لا يتفقون في تعيين مهدهم الاوّل وان كانوا يجعلونــهُ في

---

١) راجع رحلة لامرتين (Lamartine: *Voyage en Orient*, ed.Hachette, I, 434).

٢) راجع ما ورد في هذا الموضوع في تآليف العلماء الآتي ذكرهم: مسبرو في تاريخ الشعوب الشرقيّة (Maspéro: *Hist. anc. des peuples de l'Orient*, I. 550) ثمّ مقالة فنكلر في شعوب آسية المتقدمة (H.Winckler: *Die Völker Vorderasiens*) في مجموعة « Der alte Orient » ثمّ كتاب غرم (Grimme: *Mohammed*, 6)

آسية ليس بعيدًا من البلاد التي سبق القول فيها بأنَّ الساميين اخوة الآريين سكنوها في طورهم التاريخي

ولبيان ذلك نكتفي بما يأتي وهو انَّ العلماء مهما تقدَّموا في الدروس التاريخيَّة المتعلقة بنشأة الجنس البشري زاد ايضًا توجه ابصارهم الى ذلك القسم من آسية المتقدّمة الذي سوريَّة تُعدّ كمركز لهُ فيجعلون فيهِ مهد الانسانيَّة . والحق يقال انك إن تصفَّحت تاريخ الشعوب اربعة آلاف سنة قبل المسيح وجدت البلاد الغربيَّة متسكعة في ظلمة الهمجيَّة بينما نرى الجهات الواقعة في شرقيّ البحر المتوسط مزدهرة بنور التمدُّن اعني وادي النيل والاصقاع الاسيويَّة المجاورة لهُ من سواحل الشام وضفاف الفرات ودجلة . فيكون منشأ التمدُّن جنوبيّ غربي آسية ومنهُ انتشر جيلًا بعد جيل الى بقيَّة البلاد حتى عمَّ الامم المتنوّرة (١ . وبعبارة اخرى يصحُّ القول بانَّ سوريَّة كانت في مركز دائرة كبيرة من البلاد التي ألّفت العالم القديم حيث كانت نشأة التمدُّن الاوَّل في المسكونة وان عجزنا عن بيان وقوع الفردوس فيها فكفاها فخرًا أنَّها كانت مهد تاريخ البشر . ومن ثمَّ نقول ايضًا عن سوريَّة أنَّها من الاقطار التي استوطنتها المستعمرات البشريَّة الاولى إن لم تكن اوَّل ارض وطئها الانسان بقدمهِ . ومما لا ريب فيهِ انَّ سوريَّة قد تفرَّدت مع بلاد بابل والقطر المصري بكونها حفظت اقدم ما وُجد من الآثار المثبتة بوجود الانسان الناطقة باعمالهِ الاولى . وهو لعمري مجدٌ اثيل احرزتهُ لها في ميدان لم يجارها فيهِ الّا القليل

٢

موقع سوريَّة الجغرافي

لسوريَّة فضلًا عن كونها من مواطن البشريَّة الاولى فضلٌ آخر وهو موقعها العجيب في وسط المعمور . فانَّها قائمة في حدود الشرق كالحارس يصونها وهي مع ذلك قسم صالح من حوض البحر المتوسط الذي يوصلها باقطار الغرب تراها منفصلةً عن آسية المتقدّمة بجبال طورس الشامخة وبصحاري جزيرة العرب يصلها بافريقية برزخ دقيق

(١) راجع جغرافيَّة روكلو (Elisée Reclus: *Asie Antérieure*, 1, 2)

برزخ سويس واقعةً على سواحل البحر المتوسط الذي كان يُعدّ الى اواسط القرن السادس عشر كبحر المسكونة كلها فأسرع سكّان الشام وسلكوا هذه الطريق اللاحبة ودخلوا ذلك الباب الواسع المفتوح في وجه نشاطهم وتقاطروا الى الجزائر النازحة والبلاد السحيقة الواقعة في الغرب فطبعوا فيها صورة تمدّنهم وآثار حياتهم. فكأنهُ تبارك وتعالى لم يجعل سوريّة على جوار البحر المتوسط الذي اضحى منذ ٣٠٠٠ سنة من اخصّ سُبُل التمدّن الّا ليجعل اهلها في مقدّمة روّاد المدنيّة ونَقَلة الألفة فقاموا بهذه المهمّة احسن قيام مدّة نيّف والف سنة

قد قلّد الله كلّ شعب دعوةً يفيد بها الهيئة الاجتماعيّة. امّا خاصّة الفينيقيين واهل سوريّة فانّ دعوتهم انّما كانت نشر التمدّن. نعم انّ التمدّن بلغ في بابل واشور مبلغاً اعظم منهُ في انحاء الشام كما انّ عقول الاشوريين لم تكن أقلّ توقّداً من جيرانهم. لكنّ فعلهم في نشر الترقّي المدنيّ كان دون فعل الفينيقيين. فماذا انقصهم لذلك؟ انهم يُعطَوا هبةً نالها السوريّون فامتازوا بها في كلّ اجيالهم نريد الاقدام على نشر المشروعات. لانّ الاشوريين لم يجدوا بقربهم باباً بحريّاً يخرجون منهُ الى بقيّة انحاء العالم وينشّطهم على العمل ويشدّد ازرهم للتوسط في المعاملات بين الشعوب المتباينة وكلّ ذلك قد اصابهُ السوريّون لوجود موطنهم بين بلاد متوغّلة في التمدّن وبلاد جديدة كانت منتظرة نعمة هذه المدنيّة. وكان السوريّون دون جيرانهم البابليين والمصريين قدرةً وثروة فسدّوا ما ينقصهم من هذا الوجه بما اتاحهم الله من حسن الموقع والمنافع الجغرافيّة

ولمّا نالت سوريّة هذا المقام في الوضع الطبيعيّ صارت في كلّ الازمنة هي الوصلة بين الشرق والغرب تتوسط بهما جميعاً دون ان تختصّ باحدهما. فان اعتبرت سكّانها ولغتها ورسومها فهي شرقيّة. وان لحظت جيرتها من بحرٍ غربيّ ومعاملاتها المتوالية مع الامم الساكنة في حوض البحر المتوسط واخلاق اهلها المتنوّعة العامّة فهي اشبه بالغرب. ولذلك تراها اذا تصفّحت تاريخها القديم كمعبر ومجتمع كانت تتصافح فيهما كلّ الامم القديمة فتتلاقى فيهما كأنها في بلادها جميعاً. وكان الله سبحانهُ وتعالى قد قضى ان يكون هذا الالتقاء سلميّاً جامعاً للقلوب وربّما تبلبل نظام الخالق بسوء نيّات الشعوب فصارت سوريّة ساحةً للقتال جرت فيها الدماء سيولاً بدلاً من ان تصير سوقاً لتجارة الارض ومرسحاً للألفة والتحابّ. فكم من امّة طمعت في اقتناء سوريّة وبذلت دونها كلّ غالٍ

ونفيس خصوصاً في أيام الاشوريين وفي عهد الفراعنة . فكانت منافعها الجغرافيَّة تتحوَّل لها الى ويلات وشرور . وقد قامت بعد هذه الدول دول اخرى تختلف اسماً وجنساً لكنَّها لم تختلف فعلاً . وكما قدم الى سوريَّة رعمسيس الثاني ونبوكدنصَّر كذلك جاءها الاسكندر وكثيرون غيره تُرى كتاباتهم واسماءهم مرقومة في متحف طبيعيّ عجيب تحت القبَّة الزرقاء اعني بهِ مضيق نهر الكلب (١) (لهُ بقيَّة)

حوادث السنة الغابرة

نظرة للاب لويس معلوف اليسوعي (تتمَّة)

آسية

❊ الصين ❊ ضُربت معاهدة في اوائل السنة الماضية بين الصين واليابان غايتها تقرير بعض امور تتعلق بمعاهدة السلم بين اليابان وروسيَّة . وفي تلك المعاهدة تعترف الصين لليابان بكل الحقوق التي خوَّلها اياها الظفر وكذلك رضيت حكومة الميكادو بالمحافظة على الاتفاقيَّات الموجودة سابقاً بين الصين وروسيَّة بالنظر الى السكك الحديديَّة وما سوى ذلك

عُقدت معاهدة اخرى بين الصين وانكلترة اهم ما جاء فيها ان دولة انكلترة والتبَّت يعترفان للصين بحقوق الحماية على التبَّت وان انكلترة لا يحق لها التداخل في شؤون داخليَّة هذه البلاد طالما لا يتداخل فيها غيرها من الدول

على ان ما استوجهت الصين بهِ الحاظ العالم اجمع هو انتباهها الى تعزيز قواها العسكريَّة وجدّها في تنظيمها وليس الامر دون ان يمثل امام اعين رجال السياسة ذلك الخطر الذي كثيراً ما أُطلقت الالسنة بهِ اعني الخطر الاصفر فان تلك الأمة الصينيَّة التي ينيف سكانها عن ربع سكَّان الارض اذا صارت جيوشها تضاهي جيوش الامم المتقدمة تدرُّباً وحنكة وصارت تتلاعب بالمدافع الجديدة الطرز في ساحات

---

١) اطلب كتابنا تسريح الابصار (ج ١ ص ٨-٩)

الوغى ستصبح لا شكَّ خطرًا عظيمًا يتهدّد من تاخمها من الامم ومن بعُد عنها . وان التمرينات الجنديَّة التي اجرتها في اواسط السنة الغابرة اتت برهانًا لدى من حضرها من ضباط الدول على ان مساعي الصين لم تذهب سدًى وانها قد اتصلت الى شيء يذكر من مطالبها

﴿ اليابان ﴾ بعد ان كانت اليابان وروسيَّة تتبادلان في ساحة الحرب الكرات الناريَّة اصبحتا تتبادلان العبارات الوديَّة والعواطف الولائيَّة الى اواخر السنة الماضية حيث نجمت بينهما بعض اسباب التنافر والامل انها زالت الآن او كادت تزول . وقد تقربت اليابان من فرنسة حليفة الروسيَّة تقرُّبًا انتبهت اليه الخواطر وكان تعيين المسيو جيرارد سفيرًا لفرنسة لدى الميكادو مظهرًا وداعيًا لتوطيد علائق الصفاء بين الدولتين

ولا يخفى على أحد ما اولاهُ الظفر لدولة اليابان من علو القدر بين الدول والاعتزاز على من يجاورها او يحاول مناهضتها . وقد اخذت اهمّ الممالك تسعى في انشاء المواصلات والعلائق الحسنة مع حكومة الميكادو واخذت هي تخابر الولايات المتحدة مخابرة الندّ لندّه مع ما تعلم من عظمة الاميركان وقوتهم . امَّا التنافر الذي حصل اليابان والولايات المتحدة فقد كان سببهُ الاخير اغلاق باب المدارس في وجوه شبَّان اليابانيين في ولاية كاليفورنية وقد كادت هذه الشرارة تضرم نيران الحروب بين الدولتين . لكن حكمة رئيس الولايات المتحدة قد مهدت سبل المصالحة وكادت تعيد المياه الى مجاريها

وان حركة الاصلاح وتقدم القوم الياباني في الفنون والصنائع والتجارة والعلوم قد جعلت تلك الامة تتباهى على سواها لا في القوى الحربيَّة فقط بل وباسباب التمدن وعوامل الترقّي وها ان معاهد العلوم والآداب فيها تكاد تضاهي ما في سواها عند سائر الامم التي سبقتها اليها بقرون طويلة كما ان البوارج التي تخرج من معاملها والمدافع التي تُسكب في مصانعها لا تقلّ كمالًا ودقَّة واحكامًا عما يصدر من اهم المعامل الاوربية والاميركية . كل ذلك مما يدل على ان النجاح اعظم منشّط واقوى مساعد على مواصلة الاعمال وبلوغ الرغائب . فمن المولى نطلب لهذه الامَّة لن تستنير باقرب الاوقات بما هو اسمى وابقى من انوار العلوم البشريَّة انوار الدين الحق الهادي الى سعادة تدوم لا تكدرها الحروب ولا تفنيها صروف الدهر

افريقية

﴿ الترنسفال ﴾ قد منحت حكومة بريطانية مستعمرة الترنسفال أن يتولى ادارتها حاكمٌ وقائدٌ يسميهما الملك ويكون لرعايا انكلترة البيض حقوق في انتخابهما. وقد قررت ايضاً انكلترة ان يشكَّل في الترنسفال مجلس لسنّ القوانين يتألف من خمسة عشر عضوًا ينتخبهم الحاكم ومجلسٌ آخر لنوّاب الأمة يضمّ ستين عضوًا ينتخبهم الرعايا الانكليز البيض البالغون ٢١ سنة من العمر. وعند حدوث خلاف بين المجلسين يحق للحاكم حل احدهما او الاثنين معًا

﴿ تونس ﴾ في ١١ ايار توفي الباي محمد الحاج فتولَّى الامر بعدهُ محمد النصر ابن عمه ولهُ من العمر ٥٠ سنة

﴿ الحبشة ﴾ تمّ اتفاق ايطالية وفرنسة وانكلترة على المعاهدة المتعلقة بالحبشة والتي طالت المناقشة فيها وقد قبلها النجاشي وصادق عليها ثم وقَّع عليها كل من الدول المذكورة. ومن مقتضياتها ضمان حيادة الحبشة والاعتراف للسكة الحديدية من جيبوتي الى اديس ابابا بصفة سكة افرنسيَّة

﴿ السودان ﴾ في ٢٧ ك ٢ من السنة الغابرة صار تدشين السكة الحديديَّة من بربر الى البحر الاحمر واحتفل بهِ احتفالًا عظيمًا دلَّ على اهميَّة السكة الجديدة وعلى ما يعلّق عليها القوم من الآمال. ومما قالهُ اللورد كرومر في خطاب القاهُ عندئذٍ. ان هذا هو بدء تحقيق المشروع الذي يُنوى بهِ تكثير وتقريب الطرق التجاريَّة والعمرانيَّة من الاقطار السودانيَّة واليها. ولا يغرب ان يصير پور سودان بسبب هذه السكة اهم مراقف البواخر الماخرة في البحر الاحمر

﴿ مراكش ﴾ في ١٦ ك ٢ عُقدت في مدينة الجزيرة اول جلسة من المؤتمر الدولي لتنظيم شؤون مراكش حضرها ممثلو المانية والنمسة وبلجكة ولسبانية والولايات المتحدة وفرنسة وانكلترة وهولندة وايطالية والبورتوغال وروسية واسوج ومراكش. فترأس ممثل لسبانية وخطب خطبتهُ الافتتاحيَّة جاهر فيها بمبادئ ثلاثة هي استقلال سلطة حاكم مراكش وصون تخوم مملكته على ما هي وجعل ابواب التجارة مفتوحة للجميع. وعلى هذه المبادئ وافق ممثلا فرنسة والمانية. وقد جرى في غضون المناقشات

من تمسك ممثلي بعض الدول بحقوق دولهم ما خُشي معهُ سوء العاقبة وقد خيف مدة من الزمان اشتعال نيران الحرب بين المانية وفرنسة. ولكن اخيرًا تمَّ الاتفاق ووُقّع على المعاهدة وقوامها ١٢٣ بندًا نُصَّ فيها على تنظيم البوليس ومنع تهريب الاسلحة وانشاء بنك للحكومة المراكشيَّة والكمارك والاشغال العموميَّة الى غير ذلك. وقد قررت تلك المعاهدة ان عدد انفار البوليس يجب ان يكون من ٢٠٠٠ الى ٢٥٠٠ وان الضباط يكونون من فرنسة واسبانية وان يكون فوقهم مراقب عام سويسري. وايضًا ان بنك الحكومة تكون ماليتهُ من ١٥ الى ٢٠ مليونًا باسهم ثمنها ٥٠٠ فرنك ويكون تحت مراقبة اربعة مأمورين تعيّنهم بنوك المانية وانكلترة واسبانية وفرنسة

على ان الاحوال عادت بعد زمن قصير الى القلق والاضطراب وكثر التعدي وضج القوم وجلًا وآل الامر الى ان ارسلت حكومتا فرنسة واسبانية بعض البوارج لتسكين الخواطر واعادة الامن والراحة

اميركة

ان المؤتمر الثالث لعموم الشعوب الاميركيَّة قد أُلف السنة الماضية في مدينة ريو ده جانيرو وافتُتح في ٢٤ تموز

وقد بعثت جميع الممالك الاميركية من يمثلها فيهِ ما خلا ڤنزويلا وهايتي وسان دومينيك وترأسهُ وزير خارجيَّة البرازيل

ومن اهم ما قيل فيهِ ما جاهر بهِ المسيو «ايليهو روت» ممثل الولايات المتحدة حيث قال: ان الولايات المتحدة ترغب وتقصد ان تنزع من ايدي اوربة تجارة اميركة الشماليَّة والجنوبيَّة حتى تصيّرها اميركيَّة محضة وستسعى كل السعي وراء تلك الامنيَّة

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الخطر. وان تمَّ الامر كانت ضربة شديدة على اوربة من حيث الاحوال العمرانيَّة والاقتصادية

﴿ البرازيل ﴾ انتُخب «المسيو الفونسو بنًا» رئيسًا لحكومة ولايات البرازيل في ١ اذار وأُقيم المسيو «نيلو بسانها» نائبًا لهُ ورئيسًا لمجلس الاعيان

﴿ ڤنزويلا ﴾ في اوائل السنة الماضية انقطعت العلائق السياسية بين فرنسة وڤنزويلا وكان السبب في ذلك سوء تصرفات الرئيس كاسترو نحو الافرنسيين وكان مما

اجترمهُ انهُ وضع يدهُ على الاسلاك التلغرافيَّة البحرية مع انها خاصَّة بشركة افرنسيَّة . وقد تنازل الرئيس المذكور عن منصبهِ في ١٣ نيسان

﴿ كوبا ﴾ اضطربت فيها الاحوال واستظهر الخوارج على رجال الحكومة واحوجت الظروف دولة الولايات المتحدة الى احتلالها احتلالًا عسكريًا وكان ذلك في ١ ت ١ . وقد استعفى الرئيس بالما واقامت الولايات المتحدة من قبلها حاكمًا على البلاد الى ان يعود اليها الامن والراحة وتُنظَّم شؤونها

﴿ الولايات المتحدة ﴾ انصرف همّ رجل تلك الدولة القديرة المستر روزفلت رئيس حكومتها الى تحسين شؤونها الداخليَّة وزيادة مصادر الثروة وعوامل العمران فيها ومما يلوح منهُ بعض ما نواهُ وحاول تحقيقهُ كلامٌ نصُّهُ في لائحة وجهها الى زعماء حزبهِ بمناسبة انتخابات ممثلي الولايات قال: انهُ لمن الضرورة ابقاء التعريفة الممتازة لمصنوعات البلاد فانها لازمة كل اللزوم لحفظ صنائعنا الوطنيَّة ناجحةً نجاحها البديع الغريب ولصونها من مهاجمة ومزاحمة الواردات الاجنبيَّة . وقد افصح مرارًا عن جدِّهِ وسعيهِ في تعزيز القوى البحريَّة في مملكتهِ واعدادها لما يجب توقعهُ من المعاداة . ومن هذا القبيل عناية الرئيس روزفلت في تعجيل اعمال ترعة بناما وتنشيط من أُقيموا على اتمام فتحها ولذلك قد ذهب بنفسهِ وباشر الاشغال واظهر ارتياحهُ مما شاهد وحرَّض على الجدّ والاسراع . ومن البيّن ان فتح ترعة بناما تقرّب على الولايات المتحدة امداد اساطيلها حيثما وُجدت وبالاخص اذا نشبت حرب بينها وبين اليابان

سيرة

يوليانا الشيخ الناسك

المؤسس ديرهُ في القريتين

للخوري الفاضل الاب اسحاق ارملة السرياني الكاثوليكي

طالعنا رحلة حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي الى نواحي بادية تدمر. وسرَّنا ما اتى بها من التفاصيل في آثار تلك البلاد وعمرانها . وتصفَّحنا خاصةً في ما كتبهُ

بشأن دير مار يوليان الشيخ . ولمَّا كان كلامهُ فيهِ وجيزًا احببنا ان نتحف قرَّاء المشرق بنبذة نلخّص فيها حياة المؤسس معتمدين على ثلاث نسخ موجودة لدينا . احداها نسخة الاب بولس بيجان العازاري الفاضل . والثانية نسخة المثلث الرحمات البطريرك ميخائيل جروه كتبها اذ كان قسيسًا يعقوبيًا في دير الزعفران سنة ١٧٤٦ . والثالثة نسخة كُتبت في حمص في اواسط القرن السابع عشر . فنقول :

وُلد عليهِ السلام في ارزن بلدة عند نهر الفرات قريبة من آثور كثيرة العمائر غاصّة بالسكّان . وكان في براريها المجاورة لحدياب مغاور عديدة قصد يوليان واحدةً منها زاهدًا ولم يكن يتقوّت الّا بخبز الشعير مع نخالته وبالملح ذلك مرّة في الاسبوع . ولوفور فضائلهِ وانتشارها لقّبهُ اهل البلدة (ܣܒܐ) اي الشيخ

امَّا لذّتهُ فكانت في تلاوة المزامير لِما كان يشعر فيها من العذوبة السماويّة . ولمَّا ضاع عرف فضائله وتطاير صيتهُ في الأصقاع أمّهُ باديٌ بدء عشرة رهبان . وازدادوا رويدًا رويدًا حتى بلغوا المائة . فغصّت بهم تلك المغارة الصغيرة الحرجة . فألحّوا على رئيسهم ان يبنوا قلّاية لسكناهم ولوضع حشائش كانوا يلتقطونها ويثرثونها ويوزّعونها على المرضى . فأذن لهم واعطاهم القياس

وكان من عادته ان يتوغّل في البراري طاويًا مسافة خمسين غلوة يناجي الله غير مكترث للوصب الذي ينالهُ من جرَّاء ذلك . فاغتنم رهبانهُ الفرصة وفسحوا في البناء متجاوزين القياس المحدود . وعند عودتهِ لامهم قائلًا : « يا احبّائي اخاف من اننا اذا ما وسعنا مساكننا الارضيّة تضيق بنا المساكن السماويّة » . الّا انهُ بعدئذٍ تغاضى عن ذلك حبًّا بالقريب

هذا وراض تلامذته على الجولان في البيداء اثنين اثنين تأسّيًا بهِ . فكانوا يهذّون ثناء ذلك بالمفاوضة الروحيّة . وكانوا متهافتين على الطلبات والتراتيل والتأملات . وكانوا يلتئمون قبل الغروب لتلاوة الصلاة القانونيّة

واستصحب يومًا الى البادية تلميذهُ يعقوب الفارسيّ (١ الذي اشتهر بفضائلهِ

---

١) اشتهر القديس يعقوب افرهاط الفارسيّ سنة ٣٤٥ وهو مؤلف كتاب البراهين (ܬܚܘܝܬܐ) يشتمل على ٢٢ مقالة مرتبة على حروف المعجم . ولهُ مقالة تُعرف بالعنقود (ܣܓܘܠܐ)

وعلومهِ. عمّر مائة واربع سنين. ولمّا كان يقفو اثر معلّمه من بعيد ألفى وحشاً كاسراً مجندلاً على الارض. فجعل يقدّم رجلاً ويؤخر اخرى. وما كاد يدنو منهُ حتى اخذ حصاة ضربهُ بها. واذ لم يبدِ حراكاً تأكّد ان رئيسهُ فتك بهِ. ولما جلسا يستريحان طفق يلحّ عليهِ ان يطلعهُ عن حقيقة الواقع. فشرط عليهِ ان يكتم الأمر ما دام في قيد الحياة. ثم اخبرهُ قائلاً: لمّا هجم عليّ ذلك الحيوان الضاري يبتغي افتراسي استنجدت بيسوع ورسمت اشارة الصليب فألقيتهُ مجندلاً على الأرض (١

والحّ عليهِ مرّةً اسطريُس تلميذهُ ان يستصحبهُ الى البريّة ولشدّة الحرّ ادركهُ الظمأ فاستنجد القديسَ وطلب منهُ الغوث. فجثا يوليان على الارض وبلّها بدموعهِ فأنبطت ينبوعاً زلالاً فارتوى التلميذ وشكر الله (وهذا الينبوع يُعرف باسمهِ حتى اليوم)

واشتهر اسطريُس هذا في جندريس العظيمة بقرب انطاكية حيث رمّم ديراً التأم فيهِ عدّة تلاميذ من جماتهم اقاق (٢ الذي تطرن على حلب ثماني وخمسين سنة (٣ لم ينثنِ اثناءها عن النسك والزهد (٤ وعمّر مائة سنة وعشر سنين

وكان اسطريُس المشار اليهِ يتفقّد قديسنا ثلاثاً في السنة جالباً معهُ اربعة احمال تيناً للرهبان يوسق منها حملاً على عاتقهِ ويمشي زهاء سبع مراحل في اليوم عادّاً ذاتهُ عبداً ليوليان. فشقّ ذلك على قديسنا وهتف نحوهُ قائلاً: ايجمل بنا ان نغتذي من

طُبعت اوّلاً في لندن سنة ١٨٦٩ واخيراً في باريس سنة ١٨٩٤ راجع روبيس دوفال .Litt (syriaque, 225-227 وافادنا ابن العبري في تاريخهِ الكنسي: ان بوزيطس الحكيم الفارسيّ مؤلف كتاب البراهين المستقيم الايمان عاش في زمان يوليان الشيخ ومار افرام وابراهيم القيدونيّ. وقد اكّد ذلك تاودريط (ك ١ فصل ٢٥ و ٢٦). والسمعاني (مجلّد ٣ وجه ٨٥)

١) وفي كتاب فرضنا (ج ٢) شهادة على صحّة ذلك

٢) كان من احد اباء المجمع القسطنطيني. وذكر ابن العبريّ ان فلابيانس الاوّل بطريرك انطاكية ارسلهُ الى رومية حيث كان ثاودوسيوس الملك يومئذٍ ليصالح الرومانيين مع آل انطاكية. وذكر سقراط (ك ٣ فصل ٢٥) ان اقاق خلف توادون وسقّفهُ على حلب اوسابيوس اسقف صيصاط وكان من الحامين لغم الذهب

٣) وفي نسخة خمساً وثمانين سنة. وورد في رسالة اساقفة الشرق الى ثاودوسيوس الملك انهُ استمرّ اسقفاً خمسين سنة وعاش مائة وعشر سنين. مناضلاً عن التعليم الانجيلي

٤) اكّد ذلك سوزومان في تاريخهِ (ك ٧ فصل ٨)

تمبك. اجابهُ اسطريس: لا أُنزل الحبل عن كاهلي او تعدني بانك تطعم منهُ. ولمَّا ضاق بهِ الأمر اجاب الى سؤله

ورحل قديسنا الى جبل سينا مع نفر من تلامذتهِ كانوا يحملون مؤنتهم على اكتافهم ويبيتون في البريَّة لياهم: ولمَّا بلغوا الى جبل الله زاروا مغارة موسى الكليم وكرَّس قديسنا ثمَّ كنيسة تُعرف الى اليوم باسمهِ (١

وما طرق مسمعهِ خبر جور سميهِ القيصر يوليان الجاحد حتى بعثتهُ الغيرة على الاستصراخ الى الله بحرقة قلب ان يلطف بعبادهِ وبعد أيام وجيزة سمع صوتًا يبشرهُ بموتهِ شرَّ ميتة (٢ فاستفزَّ طربًا وحبورًا ورطَّب اللسان بالثناء للمولى القهار. واذ ذاك سألهُ تلاميذهُ عمَّا يسرّهُ. فاجابهم: ان الملك العاتي قُتل والرب القدير أعتق عبيده

وخلفهُ والنس الاريوسي في التعسف والجور. فأقلق الكنائس ونفى ملاطيوس (٣ بطريرك انطاكية وجملةً من اساقفتهِ. وضعضع الاقليروس والمسيحيين المتمسكين بالاعتقاد بطبيعتي السيد المسيح. فكانوا لخوفهم يلتمسون لقضاء فروضهم الدينيَّة تارة في لحف جبل انطاكية وطورًا على ساحل النهر وآونةً في ساحة القتال شمالي البلدة

هذا ولمَّا كان اعداء الحقّ ينسبون تعليم اريوس الواهي الى يوليان قديسنا (٤. قصدَ ان يجذبوا الأنام المعتبرين قداستهُ الى معتقدهم نهض فلايانس (٥ وديودرس (٦

---

١) اثبت ذلك موروني في قاموسهِ (جزء ٣١) تحت اسم يوليان. وكتاب فرضنا (جزء ٢: وجه ٧). والبيكاز المنسوخ في القرن الحادي عشر وهو خاصة مدرسة الشرفة البطريركية السريانيَّة بلبنان (راجع المنبث ٢٧٩)

٢) موروني (ج ٣١)

٣) هو معلّم فم الذهب وقد رسمهُ انجيليًا وقلَّدهُ وظيفة الوعظ. وهو الذي رسم القديس باسيليوس اسقفًا لقيصاريَّة. وخلفهُ في البطريركيَّة اوزيس ونفاهُ الاريوسيون. وفي المجمع القسطنطيني رُفض اوزيس وردَّ ملاطيوس الى كرسيهِ ولم يلبث زمنًا حتى مات سنة ٣٨١. (راجع تاريخ ابن العبري)

٤) اطلب معجم موروني (ج ٤١)

٥) هو الذي كان يسوس انطاكية بدلًا من اوسطاثيوس وفي عهدهِ ظهر ابوليناري. وفي زمان أسطفان بطريرك انطاكية الاريوسي كان فلايانس ضابطًا كنيسة واحدة فقط. (ابن العبري وتاودريطك ٥ ف ٣)

٦) كان كاهنًا في انطاكية في زمان يوليانس الجاحد وعهد اليه اسقفهُ (ملاطيوس) بحفظ الاواني

الكاهنان المغبوطان رئيسا الشعب وتوجّها الى حلب ملتمسين من اقاق اسقفها المذكور ان يرافقهما ليأتيا بيوليان فيمحق افتراء الملحدين ويذلّهم

ولمّا عادوا بهِ حلّوا في احدى القرى فاستضافتهم سيدة نبيلة واحسنت لقياهم واكرمت مثواهم. ولمّا كانت منشغلة في خدمتهم أمر قديسنا باحضار نجلها لأخذ البركة فانطلقت لتأتي بهِ. واذ هو واقع في البئر. فامتقع لونها ورامت اخفاء الأمر ريثما ينهضون من المائدة. غير ان قديسنا لعلمهِ بالواقعة خفَّ الى البئر ودلّى نبراساً فألفي الصبي يطفو على الماء جذلاً فانقشع غمام الكآبة عن امهِ المسكينة. وأمر القديس فنشلوا الصبيّ. وما كاد يخرج حتى عدا وجثا امام يوليان قائلاً: باركني ابتِ. لولا انك تحملني على عاتقيك لغرقت لا محالة (١

وكان قديسنا يجترح الآيات على هذا المنوال في كلّ بلدة يطأها. ولمّا وصلوا الى انطاكية ادركتهُ حمّى أليمة فشقّ ذلك على اقاق خوفاً من انهُ اذا ما مات نصير الدين المستقيم يتغلّب الضلال وينتصر الاعداء. امّا قديسنا فطمّنهم بقولهِ: لا تغتمّوا سيبرئني الله. وكان كما قال

وما كادوا يلجون المدينة حتى حبا اليهِ مخلّع يمشي على يديهِ عند باب البلاط الملوكي فتشبّث بذيلهِ وطلب ان يشفيهُ. فما صلّى عليهِ يوليان حتى قام يركض مسبّحاً لله. وتقاطر اذ ذاك الناس من كلّ اوب والتأموا في ساحة انطاكية افواجاً افواجاً. فجعل يبرهن لهم بادلّة قاطعة عن الاعتقاد بلاهوت المسيح ضدّاً لاريوس (٢ فأفعمت افئدتهم حبوراً وعزاء وطفقوا ينعتونهُ بفخر المسيحيين وعدوّ الملحدين

وكان آنئذٍ في انطاكية حاكم بلاد المشرق مريضاً فشفاهُ. وابرأ اسقام ذوي العاهات والمضنوكين. وكلّ من قصدهُ نال الشفاء بصلواتهِ

البيعة. ولمّا غضبهُ الملك على تسليمها ولم يرضَ أمر فقُطع رأسهُ. تاودريط (ك ٣ ف ٨ و ٩) وسوزمان (ك ٥ ف ٨) وغيرهما

١) وكان عمر الصبيّ سبع سنين وفي نسخة عشر سنين. وهذه الآية متداولة في افواه آل فونيقي ولا سيما حمص وحماة وما يجاورهما. وقد ورد ذكرها في كتاب فرضنا ايضاً

٢) يؤكد ذلك المنيث الذي ورد في بيتكاز نُسخ في اوائل القرن السابع عشر بدوءهُ: يا غصن الديانة

هذا ولمّا ضرب الامن اطنابهُ وسطع نور الدين القويم كرَّ راجعاً الى ديرهِ . فمرَّ بمدينة قورش وحلَّ في بيت ديونيسيوس الشهيد. وعند ذلك تناهض اهلها متوسلين اليهِ ان ينقذهم من ضلالة اسطريس الفيلسوف الكذوب والاسقف الدخيل (١ فسكَّن قديسنا روعهم ووعدهم بانهُ تعالى يطفئ سعير تلك النار المتأججة . ويدرأ عنهم افك الاسقف المحتال . على انهُ لمّا نوى اسطريس هذا الشقيُّ ان يلقي عظةً في ايضاح بدعتهِ بغتهُ الربّ بضربة اليمة نزعتهُ الحياة . وجرى ذلك بابتهال قديسنا . فشكر لهُ آل قورش . فودَّعهم وبلغ الى ديرهِ واستمرّ لدى رهبانهِ زمناً طويلاً حتى توفاهُ الله شيخاً شبع من الايام

هذا ما رواهُ اقاق المغبوط الذي كان مطّلعاً ومستقصياً اخبارهُ يوليان بسر متحقق (٢

وقبل انتقالهِ عليهِ السلام جمع تلامذتهُ وحثّهم على التقوى والمحاماة عن الدين . وقال لهم اخيرًا : يا اولادي الاحباء اوصيكم ان تضعوا جسمي ضمن عجلة وتأخذوا معكم علفاً لدوابكم وحيثما تقف الدوابّ وينفد العلف ادفنوني وكان لمّا انتقل الى جوار ربهِ حزنوا جدًا وناحوا عليهِ نوحاً اليماً . وبعد ذلك قال بعضهم لبعض : هيا بنا نقوم بوصيَّة رئيسنا القدّيس فنهضوا وكفّنوا جسمهُ المقدَّس وساروا بهِ كما امرهم حتى وصلوا الى بادية تدمر (٣ فنفد العلف ووقفت الدوابّ عند القريتين . فآثروا ان يدفنوهُ في جبل كان غير بعيد عنهم غير ان العجلة لم تتخطأ المكان فاتضح لهم انهُ هو هو المكان الذي ابتغاهُ القديس لضريحهِ . وما كادوا ينزلون عن العجلة حتى التأم سكّان

---

١) ذكرهُ ابرونيموس (كتاب البلاء فصل ٩٤) وقال انهُ كان اسقف اللدّ وكان اريوسياً . والّف كتباً تؤيد ضلالهُ وعلى ما نظنّ انهُ اسطريس هذا بعينهِ ولا يخفى انهُ ليس اسطريس تلميذ وليان المذكور سابقاً

٢) الى هنا ما نقلناهُ عن نسخة الاب بيجان الفاضل وفي آخرها ورد ما نصّهُ : ان مار افرام الطوباوي هو الذي الّفها . ونرتأي مع الاب المذكور ان ذلك ليس صحيحاً لان النصّ ليس نصّهُ على ما يبان . وما يلي فقد نقلناهُ عن نسخة حمص

٣) يتضح لي ان ذلك مبالغة . والّا فلا يمكن القول انهُ توفي في ديرهِ في حدياب ثم نُقل جسمهُ الى القريتين وذلك لبعد المسافة . وعلى الغالب اقول : من الممكن انهُ مات في نواحي قورش واتى تلامذتهُ ونقلوا جسمهُ الى القريتين

تلك البادية طرًا ليتباركوا منهُ ويشفوا من اسقامهم . وامتلأت افئدتهم حبورًا لفوزهم بتلك الدرّة اليتيمة

وشيّدوا بعد ذلك ديرًا حذاء القريتين واتوا بجرن من حجر البازار احرزوا فيه ذخيرتهُ المقدّسة . فغدا مذ ذلك الحين مينا النجاة والشفاء لمن يقصدهُ حتى يومنا هذا

انتهت قصّة مار يوليان الشيخ

تتمّة

ممّا ورد في سيرة يوليان الشيخ نستنتج ما يأتي :

١ : لم يكن شهيدًا كما زعم البعض . اما يوليان الشهيد الذي ذكرهُ اوسابيوس القيسري في مقالتهِ على شهداء فلسطين ومعترفيها (١ فليس هو قدّيسنا لان الشهيد وُلد في نواحي قبدقية وهذا ولد في ارزن . وللاوّل ذكرٌ مع رفقائهِ في ١٦ آب كما ورد في جدول القديسين المنسوخ سنة ١٥٧٩ (٢

٢ : لم يكن قدّيسنا بطريركًا على انطاكية كما توهّم البعض لستنادًا الى رسم صورتهِ . فانه قد قام ثلاثة بطاركة انطاكيين باسم يوليان . احدهم يوليان خلف بطرس القصّار في اواخر القرن الخامس الذي خلف مرطوديوس ثم تغلّب عليهِ القصار . ثانيهم يوليان بطريرك اليعاقبة البليغ وهو الثالث بعد ساويروس . ويتّضح من المعنيث ١٦١ (٣ انهُ كان يعقوبيًا حقًا . وتبطرك ثلاث سنين وثلاثة اشهر ومات في اواخر القرن السادس . ثالثهم يوليان الرومي خليفة اثناسيوس البلاديّ اليعقوبيّ وتوفّي سنة ٧٠٨ . امّا في صورتهِ فنقول : كان من عادة رؤساء الرهبان قديمًا ان يحملوا صليبًا وعصا كما يظهر ذلك من صورة انطونيوس ابي الرهبان وشليطا الناسك وغيرهما . وعلى فرض ان صورتهُ هي

---

١) بيجان المجلّد الاوّل من اخبار الشهداء والقدّيسين (ص ٢٧٠)

٢) راجع المشرق (٥:٧)

٣) المعانيث او الاغانيّ منسوبة لساويروس اوّل بطريرك اليعاقبة . وقد ضبطها يعقوب الرهاوي الشهير ونقلها الى السريانيّة فولا مطران الرها . وزاد عليها يوحنا برشوشان ويوحنا بر افتونيا رئيس دير قنسرين ويوحنا الذي خلفه . وقد ورد فيها معنيثان احدهما باسم يوليان اليعقوبي يثبت انهُ كان عضدًا لبطرس القصّار وبليغًا . والآخر باسم يوليان الشيخ يوضح فيهِ فضائلهُ وزيارتهُ لجبل سينا

صورة بطريرك . فذلك لا يثبت شيئاً بل انما هو غلط من الذي اوصى بتصويرها

٣ : لم يكن قديسنا يوليان اليعقوبيّ الذي تلمذ الحبشة واقام ثمّ نحو سنتين وذلك في اواخر القرن الخامس

٤ : ولم يكن يوليان الاسقف اليعقوبيّ الذي صحبهُ يعقوب البرادعي مع المطران سركيس الى القسطنطينيَّة والاسكندريَّة لبثّ بدعتهِ كما ذكر ابن العبري . على ان ذلك كان في اوائل القرن السادس

٥ : وكذلك ليس هو يوليان الحمصي الطبيب الشهيد الذي اشتهر في اواخر القرن الثالث في عهد نمريان سالف ديوقلتيان ملك الروم . وذكرهُ واردٌ في ٦ شباط

٦ : امَّا زمن وفاة قديسنا فكان على ما افادنا تاريخ الرها الشهير سنة ٣٦٧ وجعلهُ موروني سنة ٣٧٠ وعلى كلّ حال فمن سيرتهِ يتَّضح انهُ كان في اواسط القرن الرابع

٧ : اما عيدهُ فقد ورد في ٩ ايلول كما يظهر من نسخة كُتبت في حماة سنة ١٦٣٨ ونسخة أُخرى كتبت في دير الزعفران في اوائل القرن السابع عشر ونسخة ثالثة كتبها البطريرك ميخائيل جرّوه المثلّث الرحمات . (بيد انهُ في نسخة كتبت سنة ١٥٧٩ في دير الزعفران محفوظة في خزانة مدرسة الشرفة يرد اسمهُ مع مار اوجين في ٢٣ كانون الثاني . ويتَّضح ان ذلك وكيد . على انهُ ما بين المعانيث التي اوردناها سابقاً يرد ذكرهُ بعد مار انطونيوس وقبل دخول الربّ الى الهيكل)

٨ : امَّا احتفال عيدهِ في ٥ كانون الاوّل فوهمٌ لانَّ ذلك اليوم مخصَّص لسابا رئيس الدير الناسك (١ الذي اشتهر في اورشليم ومات سنة ٥٣١ فظنّوه قديسنا يوليان سابا اي الشيخ

*

٩ : بقي ان نذكر يوليان الشيخ الذي صنَّف فيهِ مار افرام الملفان السرياني اربعاً وعشرين مدراشاً (٢ وذكر عنهُ انهُ اشتهر بالزهد في الرها وانضمَّ اليهِ كثيرون .

١) المشرق (٥ : ٧)

٢) طبعها العلَّامة لامي سنة ١٨٨٩

وكان يداوي كلّ سقم روحيّ وجسديّ ومات في الرها وقُبر فيها. يتقاطر الناس الى قبرهِ من كلّ الاصقاع. وملأ بادية الرها من اديرته

ثم يستتلي مار افرام في المدراش السادس قائلًا: يا قومنا اشكروا يوليان لانهُ ادّبنا بالحبّ. الارض تجمّلت بهِ. والبادية ازدهرت باديرتهِ. وحسبنا انهُ عندنا في الحياة والممات. وفي المدراش الثامن يوضح على انهُ كان كاهنًا اذ يقول (ܚܣܡ ܣܡܐ ܢܘܪܐ ܗܘ ܕܠܒܘܫܗ. ܢܘܗܪܐ ܘܢܘܪܐ ܣܡ ܒܟܗ ܡܘܬܒܗ).

ويؤيد ذلك في المدراش ٢٠ بقولهِ: «ان يوليان اقام مذبحًا في جبل سينا وقسم عليهِ الجسد الحيّ وانحدر الروح القدس على خبز الحياة الذي قسمهُ»

ويقول فيهِ: انهُ لم يأكل الخبز مدَّة ثلاثة اسابيع وكان يسير حافيًا في ارض بلادتنا. ويمشي في البرّية ثلاثين ميلًا. وفي المدراش ١٢ يقول: في يوم دفنهِ رفعوهُ على راحات ايديهم وفي المدراش ١٧ يوصفهُ بكونهِ رفيقهُ. وفي المدراش ١٩ يبيّن انهُ أسس كنيسة في جبل سينا وكرّسها وقرّب عليها ذبيحة. وفي المدراش ٢٣ يصفهُ بانهُ هو قلّد الرهاويين سلاح الصلاح وعلّمهم العوائد الحميدة. وفي المدراش ٢٤ يقول: «رأيتك مبددًا. رأيتك مجموعًا. وانت واخوتك تشبهون ربّنا. ان بارًا واحدًا عنى واضحى كثيرين»

وقد أكّد فلوكسين اسقف منبج ان هذه المداريش هي لمار افرام. واثبت ذلك السمعاني (١ وقال موروني (٢ ان يوليان هذا بيع عبدًا ثم تحرّر وانتقل الى ما بين النهرين وتعرّف بمار افرام الذي كتب سيرة حياتهِ. وهو الذي اشار على ابينا مار افرام (٣ان يصعد الى جبل اورفا زاهدًا ويتبعهُ في السيرة النسكيَّة ومنهُ اقتبل الاسكيم الرهبانيّ. وقد اكّد ذلك السمعاني في المجلّد الاوّل في قصّة ابينا مار افرام. وقد ورد في تاريخ الرها (٤ انهُ توفي سنة ٦٧٨ يونانيَّة وهي ٣٦٧ مسيحيَّة

---

١) في المكتبة الشرقية (١: وجه ٥٤ عدد ٤١)

٢) في قاموسه (مجلّد ٣١)

٣) المجلّد الثالث من سيرة القدّيسين والشهداء (وجه ٦٢٣) – والسمعاني (١ المجلّد الاوّل (عد ٩ وجه ٣٣)

٤) السمعاني (مجلّد ١ وجه ٣٩٧ عدد ٣٨)

فمما اوردناه الى الآن من الشهادات الواردة في كتب العلماء والمؤرخين نقول :
ان يوليان الذي كتبنا سيرة حياتهِ لا يبعد ان يكون يوليان هذا الرهاوي بعينهِ .
وذلك لورود اسم كليهما في كتب المؤرخين في زمان واحد . وهنا ننبّه القارئ ان يوليان ولو كان مولدهُ في ارزن فليس من المستحيل انَّهُ اسَّس ديرهُ في الرها القريبة من نهر الفرات كما جاء في سيرتهِ . على ان تلك المدينة كان يقصدها زهاد كثيرون من اقصى البلاد . ويؤيّد مقالنا بان ديرهُ اشتهر في الرها من ذهاب اقاق وفلابيانس وديودورس اليـهِ لقرب المسافة من حلب الى اورفا . امَّا انشاء ديرهِ في القريتين فنقول : ليس بعيدًا انهُ اوصى تلامذتهُ بذلك . وعندنا ان تلامذتهُ عندما ثار عليهم الاضطهاد في الرها في زمـان هرقل وما بعدهُ او في زمن استيلاء اليونان على اورفا . حملوا جثتهُ واتوا بها الى بادية تدمر . كما ذُكر في القصة التي كتبت في حمص . ولم يكتب عن ذلك مار افرام لانهُ عليهِ السلام مات بعدهُ بستّ سنين لا غير

الهياطلة

بقلم الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي البغدادي

اذا سألنا بعض الاجانب : من هم الهيـاطلة والهياطل ? وجدناهم متردّدين في امرهم لا يدرون من هم . والدليـل على ذلك انهم نقلوا وينقلون كتب العرب الى لغتهم فاذا جـاء اسم الهياطلة ذكروهُ بلفظهِ العربي بحروف فرنجيَّة ولم يفيدونا شيئًا عن هؤلاء الاقوام . واما اذا سألنا العرب فيقول لنا لُغَويّوهم :

« الهَيطل جنس من الطرق (١ (وهو الراي الصحيح) او الهند (وهو خطأ عندنا الَّا ان يقـال ان بعض الهياطلة لما سكنوا الهند أُطلق عليهم اسم الهنود وهو تسامحٌ تُجيزهُ اللغة غير ان تاريخ الامم لا تُجيزهُ ولا يمكنها ان تُجيزهُ) قالهُ الازهري : وفي

١) المراد بالطرق عند العرب الاقدمين هو ما يقابلهُ عند الافرنج لفظة (Scythes) وهي التي عرَّبها المحدثون بصُوَر مختلفة فقالوا السَكِيَة او الإِسكيثة والسَقيطة او الإِسقيطة والسكوثيون او الاسكوثيُون وهلمَّ جرًّا . اما كون الطرق هم السَكوثيُون او السَكيثة فبراهيننا كثيرة بهذا الصدد . نذكرها اذا دعتنا الحاجة اليها

الاساس : من الطرق والسِند. وقال غيرهُ : جيل من الناس كانت لهم شوكة وكانت لهم بلاد طَخارستان (١ واطراق خلج (٢ والخنجية (٣ من بقاياهم . قلتُ : ومنهم كانت ملوك دهلي سابقًا . منهم : السلطان جلال الدين فيروز شاه الخلجي . وولي السلطنة بعد السلطان معز الدين بن ناصر الدين بن غياث الدين بلبن . وكان حليمًا عادلًا وله مآثر حسنة (والهَيطَلُ) كالهياطل والهياطلة قال الشاعر :

حملتهمْ فيها مع المَيَاطِلَهْ أثقلَ جِرمٍ مِنْ نَسَمَةٍ في قافِلَهْ » (اه عن التاج بحرفه)

وبمثل هذا القول أو بما يكاد يشبهُهُ نطق صاحب اللسان فراجعهُ ان شئتَ

واما اذا سألنا المؤرخين فان البلاذري يجيبنا ما هذا حرفهُ : الهياطلة أطراق . ويقال : بل هم قوم من اهل فارس كانوا يلوطون نتفاهم فيروز الى هراة فصاروا مع الاطراق (٤ فكانوا معاونين لاهل قُوهستان فهزمهم (الاحنف بن قيس) وفتح قوهستان عنوةً (سنة ٣٠هـ—٦٥٠م) ويقال : بل الجأهم الى حصنهم . ثم قدم عليه ابن عامر فطلبوا الصلح فصالحهم على ستمائة الف درهم . (اه عن البلاذري ص ٤٠٣)

واما ياقوت فقد ذكر في مادة « أشرُوسَنة » انها : « بلدة كبيرة بما وراء النهرين بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند » . وذكر في «باذ غيس» . . . «قيل انها كانت دار مملكة الهياطلة (٥ » . وفي حدود تُبَّت ذكر من جهة الشرق بلاد الهياطلة . وذكر في مادة خراسان (٢ : ٤٠٩) سبب تسمية الهياطلة فقال : « قال دَغفلُ النسَّابة : خرج خُراسان وهيطلُ ابنا عالم (٦ بن سام (ولعالم اسم آخر عند العرب وهو عَيلَم او غَيلَم وهو

---

١) ويجوز ان يقال : طَخَيرِستان كما في اللسان

٢) وفي اللسان : اطراق خزلج

٣) وفي اللسان : « وخنجينة » وهو تصحيف

٤) هذا راي لا حظَّ لهُ من الصحَّة لان وجود الهياطلة في هَرَاة قبل فيروز الملك بزمان طويل

٥) لم تكن باذغيس دار ملكهم ابدًا بل التي كانت كذلك هي وَرغجَن كما سيأتي الكلام عنها

٦) هذان الابنان لنسَّابي العرب وقولهم ضربٌ من الخرافات لانهما ابدًا من اولاد هيلام فان الكتاب العزيز لا يعرفهما وكذلك يجهلهما اصحاب التواريخ

عَيلام) بن نوح عليه السلام لمّا تبلبلت الالسن ببابل فنزل كل واحد منهم في البلد المنسوب اليه يُريدُ أنَّ هيطل نزل في البلد المعروف بالهياطلة وهو ما وراء جيحون ونزل خراسان في هذه البلاد التي ذكرناها دون النهر فسُمّيت كل بقعة بالذي نزلها »

وقال عن بلادهم في نفس تلك المادَّة ((٢ : ٤١٠) فامّا ما وراء النهر فهي بلاد الهياطلة ولاية براسها » . اه . وقد زاد كلامهُ جلاء في مادة ما وراء النهر (٤ : ٤٠٠) قال : ما وراء النهر يراد بهِ ما وراء نهر جيحون بخراسان فما كان في شرقيّهِ يقال لـهُ : بلاد الهياطلة . وفي الاسلام سموهُ ما وراء النهر (وفي الافرنجيَّة Transoxiane) وما كان في غربيّهِ فهو خُراسان وولاية خورازم »

فيتحصَّل من هذه الافادات الجليلة الجمّة المختلفة ان الهياطلة هم المعروفون عند الافرنج بالهونة الهفطلة (les Huns ephtalites) او (Abdela) وسمّاهم اليونان بما معناهُ : الهُونة البيض (les Huns blancs)

وعندي ان الهياطلة هي في الاصل هيطلة بياء بعد الهاء. واصل اليـاء باء موحدة تحتيَّة مأخوذة من هَبطَلة او هفطلة (والهاء والبـاء تتعاوران في الالفاظ العربيَّة كما في الاعلام الاعجميَّة كما في اصبهان واصفهان) اي (Ephtalites) . او من « أبدَلة » (Abdela) بتفخيم الحرُوف فصارت هَبطَلة ثم نقلها العرب الى هيطلة باليـاء لعدم وجود مادة هبطل بالباء بخلاف الهيطل بالياء فانها معروفة

وممّا يزيدنا اثباتاً في كون الهياطلة هم نفس ما يسمّيهِ الافرنج بالهونة الهَفطَلة او الهبطلة (les Huns ephtalites) اتفاق ما ذكرهُ الافرنج عن هؤلاء الاقوام مع ما ذكرهُ العرب قال بويّه (Bouillet) في معجمهِ التاريخي في مادة « Huns » الطبعة الأُولى ما هذا معناهُ : الهُونة الهبطلة (بالباء الموحدة) : جيل من الناس ديارهُ في شرقي بحر الخزر على شواطئ نهر جيحون (اي ما وراء النهر) في جنوبيّ تركستان الحاليَّة . وكانت دارُ مملكتهم ورَخشَن (١ . ويُظنُّ انهم جاؤوا تلك الديار في عهـد هجرة

---

١) ورَغجَن . بواو مفتوحة بعدها راء مهملة مفتوحة يليها غين معجمة ساكنة بعدها جيم مفتوحة وفي الآخر نون هي الرواية الصحيحة ويقابلها بالافرنجيَّة (Varakhchan) . قال ياقوت « ورَغجَن بالفتح ثم السكون وعين مهملة وجيم ثم نون من قرى نسف . عن ابي سعد . ووجدت في موضع آخر : ورَغجَن بالراء والغين معجمة من قرى ما وراء النهر ولا أدري أهي هيَ واحدها

الهونة في المائة الرابعة بعد المسيح . وكانوا غالبًا محاربين الدولة الساسانية وهم الذين نصبوا على العرش فيروز الأوّل (اي فيروز بن يزدجرد بن بهرام) ثم أعادوا على سرير الملك قُباذ (بن فيروز بن يزدجرد) الذي كان قد زُحزحَ عنهُ . ثم آل بهم الامر الى الامتزاج بالطرق

هذه زبدة ما قالهُ الافرنج عن هؤلاء الاقوام وهو يتَّفق كل الاتفاق مع ما نطق بهِ العرب كما تقدَّم شرحهُ وكما اليك تتمَّة بعض من اقوالهم . قال ابن الاثير في كلامهِ عن يزدجرد (١ : ١٤٢) : « وكان لهُ ابنان يُقال لاحدهما هرمز وللآخر فيروز وكان لهرمز سجستان فغلب على المُلك بعد هلاك ابيهِ يزدجرد فهرب فيروز ولحق ببلاد الهياطلة واستنجد ملكهم فامدَّهُ بعد ان دفع اليهِ الطالقان فاقبل بهم فقتل اخاهُ بالريّ وكانا من امٍّ واحدة . وقيل لم يقتلهُ وانما اسرهُ واخذ المُلك منهُ » اه

وقال عن قباذ : « وهرب قباذ (من السجن) فلحق بملك الهياطلة يستجيشهُ فلمَّا صار بايران شهر وهي نيسابور نزل برجل من اهلها . . . فغلب اخاهُ جاماسب على المُلك » . اه

فانظر حرسك الله كيف ان الكلامين في المعنى واحد والراوين لـهُ مختلفو اللغة والنسب والوطن . فلا غرو ان الهونة الهَبطلة هم نفس الهيطل او الهيطلة او الهياطل او الهياطِلة . فاحفظهُ لانَّ فيهِ فائدة عظيمة لمعرفة امور التاريخ وحوادثهِ

العهد القديم والاكتشافات الاشوريّة

في بابل والعجم

للاديب يوسف اوفرد احد اعضاء الجمعيَّة الكتابيَّة الاثريَّة

تتبَّعنا في كتاباتنا السابقة عدَّة آيات وردت في الاسفار المقدَّسة وعارضنا مؤدَّاها بما اكتشفهُ ارباب البحث في الحفريَّات الحديثة . فكانت نتيجة هذه المقابلة توافق الآثار القديمة والكتاب الكريم وبيان صحة الكتب المنزلة التي سُطّرت فيها هذه

تصحيف او غيرها » . قلنا : ان القرية التي هي من قرى نسف ضبطها صاحب التاج كَسَفَرجل . قال في مستدرك مادة ورن : وَرَغجَن كسفرجل . قرية بنسف عن ابن السمعاني » . اه

الآيات وحقيقة الزمن الذي نُسبت اليهِ . وها نحن نكتب فصلاً آخر في بعض المسائل التاريخيَّة التي انجلت بفضل هذه الاكتشافات نفسها (١

١ نبوكدنصَّر وفتحهُ لصور ومصر

﴿ فتح صور ﴾ تجد في الفصل السادس والعشرين من سفر حزقيال نبوءة عجيبة ذات تفاصيل مدقَّقة قالها النبيّ في صور وسبق فوصف ما سيحلُّ بها من النكبات كالحصار والفتح والنهب والدمار بكلام شعريّ يأخذ بمجامع القلوب وذلك على يد نبوكدنصَّر ملك بابل . وهي نبوءة صريحة تجدها اشبه بالتاريخ منها بالنبوءة

على انَّ قوماً من المحدثين ومن جملتهم بعض المشاهير كبارو وشيبيه ومسيرو قد انكروا اتمام هذه النبوءة وزعموا انَّ نبوكدنصَّر لم يَقوَ على مدينة صور . وقد ذهب المسيو مسيرو في تاريخ الامم الشرقيَّة (الطبعة ٦ ص ٦٣٧ في الحاشية) الى ان المؤرخ يوسيفوس اليهوديّ اشار الى احباط سعي نبوكدنصَّر بازاء صور في كتابهِ على ابيون (Contra Apion. I, 22) لكنَّ نصّ يوسيفوس ليس بصريح ومن تبيَّنهُ تحقَّق انَّهُ لم ينكر انتصار نبوكدنصَّر . لا بل في سياق كلامهِ ما يثبتهُ اذ نجد ذكر ملكين وهما مربال واخوهُ حيرام يُستدعيان من بابل لتدبير الامر في صور وفي ذلك دليل على ان ملوك بابل كانوا أخضعوا اصحاب صور . ومن العلماء من يسلّم اليوم بفتح نبوكدنصَّر لصور منهم كوانان (Kuenen) مستندًا الى بعض ابحاث موفرس (Movers)

وقد جاءت الاكتشافات الاشوريَّة مزيلةً للشكّ فانَّ بين ألواح اللبن المكتوبة التي وجدت في بابل لوحين فيهما صكّ مبايعة في صور وتاريخهما من اواخر سني ملك نبوكدنصَّر . فاللوح الاوَّل كُتب في «صورو» السنة ٣٥ لنبوكدنصَّر وفيهِ حجَّة مبايعة سمسم بين رجلين احدهما عامل للملك في «صورو» . امَّا اللبنة الثانية فتاريخها السنة ٤٠ من ملك نبوكدنصَّر تحتوي سندًا على مبيع مواشي لرجل يدعى «ملك ادري» كان والياً على قدَس (قدريس) كُتبت في «صورو» في ٢٢ تموز . فمن هذين الصكّين يثبت انَّ صور وضواحيها كانت تحت حكم نبوكدنصَّر ملك بابل

١) وهذا احسن تفنيد لمزاعم بعض الكتبة الذين ينقلون في بلادنا دون تروٍّ وفكر ما يدوّنهُ من الاقاويل الواهنة للملحدين المحدثين في قدم الاسفار المقدَّسة نخصُّ منهم كتبة المقتطف الذين تسبوا في عددهم الاخير للعلم ما هو براءٌ منهُ (المشرق)

وان قيل ان اسم «صورو» امكنهُ ان يُطلق على مدينة غير صور الشهيرة اجبنا ان العلماء لم يجدوا حتّى الآن مدينةً اخرى بهذا الاسم في الالوف من الالواح البابليّة · ولا بأس انَّ مكاتبات تل العمارنة دعت صورًا باسم «زورُّو» فانَّ هذا الاختلاف لا يُعبأ بهِ

﴿ فتح مصر ﴾ وقد ورد ايضًا في سفر حزقيال (ف ٢٩) وفي سفر ارميا (٤٣: ١٠—١٣ و ٤٤: ٣٠) نبوّات مفصَّلة في غزوة البابليين لمصر وفي قتل الفرعون حُفرَع (ويدعى اوحبرع او ابريس) · لكنَّ المسيو مسبيرو (١ وغيرهُ قد انكروا هذه النصرة وقد زعموا على خلاف ذلك انَّ حُفرع ردَّ البابليين على اعقابهم امَّا سَنَدُهم في ذلك فالمؤرخان ديودورس الصقلي وهيرودوتس والكتابات المصريّة · فنقول انَّ الكتابات المصريّة لا تدوّن عادةً غير انتصارات الفراعنة وتسكت عن كسراتهم واليها استند هيرودوتس المؤرخ · امَّا ديودورس فذكر فتح فينيقية على يد حُفرَع وليس في قولهِ ما يدلُّ على خذلان نبوكدنصَّر وكسرتهِ · ومن ثمَّ لانحسب سكوت هذين المؤرخين حجّة لانكار فتح مصر على يد ملك بابل · ولنا في كتاب العاديّات اليهوديّة ليوسيفوس (ك ١٠ ف ١١) ما يثبت رواية الكتاب المقدَّس في فتح نبوكدنصَّر لمصر وقتلهِ لملكها حُفرع

وقد جاءت العاديّات الكتابيّة مؤيدةً ايضًا لهذا الحادث العظيم · فانَّ في متحف اللوفر في باريس كتابةً وُجدت في أليفنتين وهي لاحد ولاة الصعيد في عهد حُفرَع ورد فيها ذكر غزوة عظيمة للساميين في مصر بلغوا فيها الى مدينة اسوان

وقد زاد الامر وضوحًا وصدقًا باكتشاف قطعةٍ عليها كتابة بابليَّة ورد فيها كلام لنبوكدنصَّر يصف فيهِ غزوتهُ لمصر في السنة ٣٧ لملكهِ · لكنَّ اسم الفرعون الذي جرى في عهدهِ ذلك قد سقط اولهُ والمظنون انهُ اسم اماسيس

فهذه الشواهد قد اقنعت علماء مبرّزين · منهم لونرمان وفيدمان فاعتبروا فتح البابليين لمصر كحادث صحيح تمَّت بهِ نبوّة حزقيال وارميا · وممَّا يؤيد الامر ثلاثُ اسطوانات صغيرة باسم نبوكدنصَّر تُرى اليوم في متحف مصر وهي وُجدت كما قيل قريبًا من السويس · وفيها دليل على انَّ ملك بابل ابتنى في مصر بعض البنايات يرجّحون

١) راجع تاريخهُ للامم الشرقيّة القديمة الطبعة السادسة (ص ٦٢٨)

موقعهـا في دقّة التي يدعوها الكتاب المقدّس تحفنحة وكان ارميا النبيّ (٣١:٤٣ ٧) أكّد بان نبوكدنصّر يدخل تلك المدينة (١

٣ الانساب العيلاميّة

قد علم القرّاء عظم شأن الحفريّات العجيبة التى اجراها المسيو دي مرغان في شوشن وما للاب شيل الراهب الدومنيكيّ من الهمّة والفضل في نشر وشرح العدد العديد من الكتابات المسماريّة التي استُخرجت من اعماق الارض. ولعلّ العلماء تغاضوا نوعاً في تعريف علاقـة هذه الآثار مع مرويّات الكتاب المقدّس لا سيّما اثباتاً لاحد الامـور التي وردت في سفر التكوين فشكَّ في صحتها كثيرون حتّى المستقيمو الامانة نريد اصل العيلاميين وانسابهم

جاء في سفر الخليقة (١٠: ٢٢) انّ ابا العيلاميين احد ابناء سام فيكون العيلاميّون اذن ساميّين. وكان ورد قبل ذلك في نبوّة نوح لابنهِ (٩: ٢٦—٢٧) انّ يافث يسكن في اخبية سام وانّ نسل حام يكون عبداً لسامٍ او عبداً ليافث او عبداً لكليهما معاً. فبحث العلماء عن صحة هذا القـول فذهب بعضهم كالعلّامة ساس (Sayce) انّ الآثار الاشوريّة والبابليّة تخالف هذه الآية في نصوصها عن غزوات ملوك بابل واشور لبـلاد عيلام وشوشن واستندوا في تأييد زعمهم الى اسماء قوّاد العيلاميين وامرائهم التي ليست باسماء ساميّة فشـاع هذا القول بين العلماء حتى انّك لو تصفّحت احد الكتب التي نُشرت منذ زمن قريب في انكلترّة لوجدتها في الغالب تكرّر اقوالاً كهذه: «انّ صاحب سفر التكوين (ف ١٠) لم يحسن معرفة الانساب ولذلك جعل العيلاميين في جملة الساميين كالاشوريين والآراميين والصواب انهم طورانيّون». او كهذه: «انّ العيلاميين من اصل الاكّاديين والسومريين والكوسيين وكلهم طورانيّون» يريدون بالطورانيين بني يافث وها انّ الاكتشافات الحديثة التي جرت في شوشن ونشرها الاب شيل قد برزت من خباياها لتحكم لصحّة سفر التكوين. فنقول:

انّ الآثار الكتابيّة المكتشفة ترتقي الى ابعد عهد من تاريخ بلاد عيلام والى زمن لم يُشيَّد فيـهِ بعد شيء من الابنية فترى انّ عيلام وتُدعى في الكتابات «نينيكي» كانت ممتازةً عن بلاد شوشن المدعوّة براسيمكي الّا انّ العيلاميين كانوا قد استولوا

(١ اطلب «Egypt Exploration Fund, *Tanis*, II, 51»

عليها فصار البلدان تحت حكم ملك واحد . وكان ملوك عيلام وملوك ما بين النهرين في مودّة وتحابّ لما بين الشعبين من وحدة الجنس فيتكاتبون ويتهادون . وكان اذا حدث بينهما حرب فتغلب ملوك اشور على بلاد عيلام لم تكن وطأة الغالب ثقيلة على المغلوب لاتفاقهما في اصل النسب

لكنّ سكّان بلاد عيلام (واسمها مشتق من اصل ساميّ) كانوا يتألفون من امّتين الأنزانيين والشوشنيين . فالشوشنيون كانوا من اصل ساميّ وكانت حاضرتهم شوشن ساميّة كما يدلّ على ذلك اسمها ومعناه الزنبق وكان موقعها في بلاد يغلب عليها العنصر السامي . وكان اسم احد ملوكها الاولين سامياً يُدعى يدادو (ايلو) شوشيناك اي المحبوب من الإله شوشيناك يشبه اسم يديدياه الوارد في سفر الملوك الثاني

امّا الانزانيون فلا نعلم الى اي جنس ينتمون . والمظنون انهم كانوا غرباء فتحوا تلك البلاد فاستوطنوها ثمّ غلبهم العيلاميون الساميون وصار امر تلك البلاد بين الشعبين فيتناوبان الملك تارة لهؤلاء وتارةً لاولئك . هذا سواء قيل انه قبل ورود الأمّتين وُجد وطنيون غيرهما او لم يوجد

وما لا يُنكر انّ الكتابات التي نشرها الاب شيل هي انزانيّة ولأنّ اصحابها لم يكونوا ساميّين كما يظهر من اسمائهم الشبيهة بالاسماء العيلاميّة التي تُقرأ في الآثار الاشوريّة

وخلاصة القول ان سفر التكوين صادقٌ في قولهِ انّ العيلاميين من بني سام . وكذلك الآثار الاشوريّة لمّا روت اسماء عيلاميّة والقاباً مخالفة للاسماء الساميّة ولألقابها لم تكذّب بذلك قول الكتاب المقدّس وغاية ما ينتج من روايتها انّ في بلاد عيلام كان يوجد شعب آخر مختلط بالعنصر العيلاميّ الساميّ وهذا الشعب هو شعب الانزانيين الذين لم يكونوا ساميين

وهنا افادة أخرى استفدناها من الاكتشافات الحديثة في شوشن لاثبات صحّة رواية سفر التكوين . وذلك انهُ ورد فيهِ عن نمرود منشئ مدينتي بابل ونينوى انهُ كان من بني كوش حفيد حام بن نوح . وقد ذكر السفر عينهُ انّ في جوار بحر العجم كان ايضاً غيرهُ من بني حام . فهذا الامر قد انكرهُ البعض وتقوا صدق رواية الكتاب

المقدَّس مع انَّ تقليد اهل تلك البلاد يثبتهُ فيروون انَّ عنصرًا حبشيًا حاميًا سكن في سالف الزمان اقطارهم مع عنصر آخر اسود ساميّ

واليوم قد ظهر الحقّ وزهق الباطل فانَّ الرحّالة الفرنسويّ ديولافوا (Dieulafoy) اكتشف اوَّلًا في بلاط قديم جنوبيّ العجم وفي شوشن نقوشًا تمثّل صور رجال لا شبهة في هيئتهم واصلهم الحبشيّ

ثمَّ وجد آخرًا المسيو دي مورغان قطعةً من الرخام المحفور تمثّل صورة نصفيَّة لرجل على رأسهِ عقال وفي يدهِ اسلحة وصورتهُ كصورة الحبشة تمامًا لأنَّ انفهُ افطس مستدير وشفاهُ ضخمة ولحيتهُ جعدة وهو متَّسع العينين (١

وكذلك نشر الاب شيل منذ زمن قريب كتابات خطّت في لغة مجهولة وبقلم غير القلم الاشوري وجدوها في شوشن يرتأون حدسًا انَّها مكتوبة بلغة مقاربة للحبشيَّة القديمة اي اللغة المصريَّة الحاميَّة المحضة قبل ان تضمّ اليها عددًا معدودًا من الالفاظ الساميَّة الدخيلة

ومهما كان من اصل هذه اللغات لا غرو في انَّ نبوَّة نوح في استعباد بني سام لبني حام قد تمَّت بحرفها فانَّ الآثار تشهد بان البابليين وعيلاميي شوشن الساميين كانوا اذلّوا قبائل من السودان الحاميين. وكذلك بنو يافث فانَّهم استعبدوا بني حام ان لم يكن قبل البابليين فعلى الاقلّ في ايام ملوك الفرس والماديين واليونان وكلهم من نسل يافث حتَّى ان اولئك الحاميين على طول الزمان ولوطأة العبوديَّة بادوا واضمحلّوا

وان كان نمرود وغزاتهُ من اصل كوشي كما قرَّر الكتاب الكريم فانَّ ملكهم لم يدم زمنًا طويلًا بل قهرهم الساميُّون في جهات العراق وبابل

٣ الفضَّة والذهب في العهد القديم

قال في سفر التكوين (١٣ : ٢) في النص العبراني انَّ ابراهيم كان غنيًا «بالفضَّة والذهب» . وكذلك يُقرأ في سفر الملوك الثالث (٢٠ : ٣) على عهد آحاب انَّ بنهدد اراد ان يسلب من عدوّهِ «فضتهُ وذهبهُ». فبتقديم الكتاب في هاتين الآيتين الفضَّة على الذهب قد نشعر بانَّ الفضَّة كانت اثمن من الذهب

(١) اطلب دليل العاديات الشرقيَّة (Babelon: *Manual of Orient. Antiquities*, fig. 247, p. 323.)

والحقُّ يُقال انَّ في ذلك دليلًا على قدم سفر التكوين وسفر الملوك لأنَّ كليهما قد وافقا الواقع كما سترى . فانَّ في أيام السلالات الفرعونيَّة الاولى كانت الفضة مقدَّمةً على الذهب واذا عدُّوا المعادن الثمينة جعلوا السبق للفضَّة على ما سواها . وبقي ذلك الى عهد تحوتمس الثالث فانَّ في الكتابة التي خلَّفها قد قدَّم ذكر الذهب على الفضة (١ وعلَّة ذلك انَّ الفضة في مصر بعد انتصار الفراعنة على الحثيين اخذت تزداد بما كان يؤدّيهِ من الجزية امراء آسية الصغرى وكان هناك معادن فضة شهيرة . وقد سبق في المشرق (٩ : ١١٢٨) انَّ المعاهدة بين رعمسيس الثاني والحثيين دُوِّنت على صفيحة من فضَّة

وممَّا يدلُّ على انَّ المصريين لم يعرفوا الفضَّة الَّا بعد الذهب انهم كانوا يدعون الفضَّة باسم « الذهب الابيض » . وكذلك في سواحل الشام . فانهُ قد ورد في الكتابة المدفنيَّة التي على قبر ملك صيدون تبنيت ابي اشمونعزر الثاني ما تعريبهُ : لا يقلقني احدٌ (بفتح قبري) اذ ليس فيهِ ما يُسلَب لا فضَّة ولا ذهب » . فتقديمهُ الفضة على الذهب دليلٌ على قلَّتها في صيدون كما في مصر . ولو تتبَّعنا الآثار الاشوريَّة امكنَّا ان نعرف متى كثرت الفضَّة في آسية الغربيَّة حتَّى زادت على الذهب

ففي احدى كتابات الملك سلمناصر المرقومة على حجر صمَّاء جاء بالترتيب ذكر المعادن التي تؤدّيها لهُ البلاد التي فتحها وهي « الفضة والذهب والرصاص وآنية النحاس » . وفي هذه الكتابة عينها ذكر ملك اسرائيل آحاب والملك حدد عزر . اعني انها كُتبت في زمن سفر الملوك الثالث الذي اوردنا سابقًا آيتهُ وفيها تُقدَّم الفضَّة على الذهب

على انَّ لسلمناصر كتابةً أُخرى كتبها نحو سنة ٨٥٤ قبل المسيح ذكر فيها غزوة لجهات حلب وما سباهُ من « الذهب والفضَّة » فقدَّم الذهب مشيرًا الى انَّهُ صار اثمن من الفضَّة والسبب فتحهُ للبلاد التي كانت فيها المعادن الفضيَّة . ولدينا شاهد آخر على ذلك وهو انَّ اهل توبال في قبادوقية كانوا يؤدُّون سنة ٧٣٢ ق.م ألف وزنة فضَّة لملوك آشور . فكفى بذلك دليلًا على شيوع الفضَّة وسقوط قيمتها

٤ ذكر بعض المعبودات الاشوريَّة في سفر عاموس

ورد في سفر عاموس (ف ٥ ع ٢٦) ما نصُّهُ : « ונשאתם את סכות מלככם ואת

---

١) اطلب « Lepsius : *Denkmäler*, III, 30 b..10 »

כיון צלמיכם כוכב אלהיכם אשר עשיתם לכם » يقرّع النبيّ بني اسرائيل لاكرامهم اصنام الامم قائلًا: « وحملتم سكوت ملوخكم وكيوان صنمكم كوكب الهكم الذي صنعتموهُ لكم ». ففي هذه الآية اشارة ظاهرة الى صورَ اصنام كانوا يحملونها بحفلة اكرامًا لبعض نجوم السماء.

امَّا كيوان فهو في الاشوريَّة كما في العربيَّة اسم السيَّارة زحل كانوا يعبدونها (١ . ولمَّا جعل النبي اسم الكوكب مفردًا فدلَّ بذلك انهُ كانت علاقة للالهين سكوت وكيوان بهذا الكوكب وفي الكتابات الاشوريَّة ما يُظهر هذه العلاقة بين الالهين المذكورين. فان كليهما يُدعى باسم نينيب. وفي مكاتبات تلّ العمارنة ما يوضح انَّ عبادة الاله نينيب كانت شائعة في اورشليم قبل دخول العبرانيين الى ارض الميعاد فمن المحتمل انَّ بني اسرائيل بعد ذلك اكرموا هذا الاله على هيئتهِ باسم سكوت وباسم كيوان فجمع النبيّ بينهما في هذه الآية

امَّا كون سكُوت وكيوان عُرفا باسم نينيب فذلك يتَّضح من الآثار المكتشفة فان نينيب قد ورد مرارًا بدلًا من كيوان حتى ان جنسن في كتابهِ علم الهيئة (Jensen: *Kosmologie*) يجعلهما واحدًا. وكذلك سكُوت عُرف باسم نينيب كما عُرف باسم « أنو » احد آلهة الاشوريين الشهيرة كان الاشوريُّون في سفرانيم يقدّمون لهُ اولادهم محرقة فيرمونهم في النار كما ورد في سفر الملوك الرابع (١٧ : ٣١) وكانوا يدعونهُ « انو ملك » ولعلَّ عاموس اراد الاشارة اليهِ فسمَّاهُ « سكُوت ملوخكم » اي ملككم الذي تحرقون لهُ اولادكم كما يفعل عَبَدة ملوخ

فترى ممَّا سبق ما كان من العلاقة بين سكُوت وكيوان اللذين جمعهما عاموس النبي في آيتهِ . وكانا ايضاً مجموعين في عبادة الاشوريين لكنَّنا نجهل سبب الاتحاد بينهما ووجه الاتحاد الذي كان متررًا فان العلَّامة تسيمرن (Zimmern: *Beiträge z. Kenntnis d. bab. Religion*, 1896, p. 10) قد نشر نصًّا اشوريًّا ورد فيهِ اسم الالهين سكُوت وكيوان معًا. وذلك في رقية من الادعية السحريَّة المسمَّاة « شُربو » .

---

١) وقد جاء اسم كيوان في النسخة السبعينية على هذه الصور Ρεμφάν و Ραιφάν و Ρηφάν لكنَّ هذا تصحيف فانَّ الناقل قرأ الكاف العبرانية راء وبين كليهما شبه اذا قُطع ذنب الكاف

وكان باستطاعتنا ان نورد هنا غير شواهد في عبادة كيوان وسكُوت عند البابليين وكفانا هنا القول بان اسم سكُوت دخل في اعلام متعدّدة كما روى پنشس (Pinches) منها «سكوت مباليت» ومعناها سكُوت رازق الحياة و «ايني سكُوت» اي سكُوت خالقي

امّا قول عاموس «كيوان صنمكم» فانّ لفظة «صنم» بالعبرانيّة ... تُطلق كما في السريانيّة على الصنم عموماً وعلى صنم خصوصيّ كلفظة «البعل» والمرجَّح انّ النبي اراد هنا إلهاً خاصّاً رجساً كان العبرانيّون قدّموا لهُ التقادم نفاقاً . وكان في شمالي جزيرة العرب اصنام متعدّدة تدعى بهذا الاسم الخاصّ وقد دخل هذا الاله في تركيب بعض الاعلام فانّ في تيماء وجدت كتابة ورد فيها علم رجلٍ يدعى «صلمشهذب» اي صلم أنقذ . وكذلك وُجدت كتابة اخرى وهي تقدمة لصلم حجر قرّبها رجل يدعو نفسهُ «كاهن صلم»

فترى ما استفادت الدروس الكتابيّة من هذه الاكتشافات . وان قال قائل انّ هذه موافقاتٌ غريبة ليس الّا فأجبنا انّ موافقات كهذه اذا تعدّدت وتوفّرت في امور شتّى اضحت كحجج مقنعة وادلّة صادقة على صحة الكتب المنزلة لاسيّما انّها حتى الآن لم تكذّب في شيء آيات الاسفار الالهيّة . فتبارك الله الذي سوّل لعباده اسباب الايمان فهو وحدهُ الاله الحقّ ولا اله غيره

هامّة سامّة

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كان حضرة الاب انستاس مكاتبنا البغداديّ الفاضل وضع فصلاً مفيداً في الحيوانات السامّة في الجزيرة والعراق (المشرق ٨ : ٩٨٣) ولكنّهُ لم يفدنا شيئاً عن دويبة شائعة في بلاد الشام معروفة باذاها ولعلّها قليلة في العراق نريد ام اربع واربعين وقد قرأنا فيها نبذة حسنة لاحد المرسلين اليسوعيين (١ فرأينا ان نستفيد منها لقرّائنا فنعرّف خواصّها ومعالجة سمّها

انّنا اذا رأينا هذه الدويبة تجرّ حلقاتها وارجلها المتعدّدة اخذنا النفور من نظرها

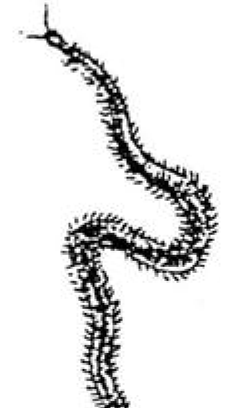
(١ اسم مقالته Les animaux nuisibles dans les Missions: myriapodes ou mille pieds, par *A. Renard* s. j.

فاسرعنا الى قتلها . والناس يتناقلون في شأنها اخبارًا ليست كلّها خرافةً مع ما فيها من المبالغة ولذلك رأينا ان نصفها وصفًا علميًّا

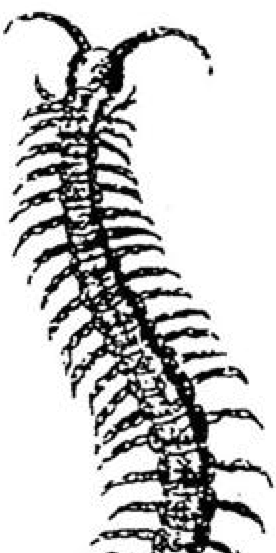
﴿ اسمها ﴾ لهذه الهامّة في العربيّة اسمٌ يعرّفها احسن تعريف فدعوها بامّ اربع واربعين لأنَّ على كلّ جانب منها اثنتين وعشرين رجلًا امَّا الاوربيّون فقد دعوها باسماء لا توافق صحّة حالها تمامًا فهم يدعونهم تارة مئة ألف رجل (myriapode) او الف رجل (chilopode) او مئة رجل (centipède, cent-pieds) وفي كلّ ذلك غلوٌّ ظاهر . ويدعونها بسقولوفندرة (scolopendre) وهو اسم يونانيّ لنبات يشبه هذه الدويبة بعض الشبه في اوراقهِ فسمّوها بهِ وقد استعارهُ العرب من اليونان فدلُّوا على هذا النبات باسمهِ الدخيل

وللعرب ايضًا اسماء اخرى دلُّوا بها على هذه الدوَيبة فدعوها باسم الشَّبَث لتشبُّثها في جسم من تنويهِ . ودعاها البعض بالحرشف لشبه ابرها بنبات الحرشف . واهل عكّار يسمُّونها ام حراش

﴿ انواعها ﴾ تدخل امّ اربع واربعين في رتبة حيوانات تتألف من حلقات متعدّدة ليس فيها كما في بقيَّة الحشرات ثلاثة اقسام مختلفة اعني رأسها وصدرها وجوفها بل ترى رأسها مفرزًا عن جسمها الذي يتركّب من اقسام متشابهة شبهًا تامًا لكنّها في تركيبها الداخليّ تقرب من الحشرات والطبيعيُّون يجعلونها في رتبة خصوصيَّة بين الحشرات والحيوانات الصلبة القشرة (crustacés) . وهي تختلف في طولها بين ٥ سنتمترات الى ١٢ سنتمترًا



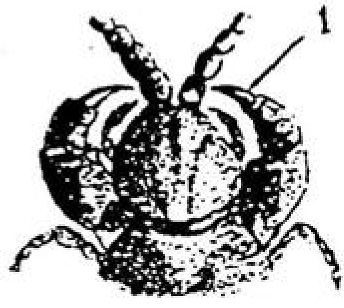
الشكل ١



الشكل ٢

وممَّا تتميَّز بهِ هذه الهوامّ ارجلها المتعدّدة المنوطة بحلقات جسمها تنتهي بابرٍ صغيرة

في رأسها شوكة دقيقة. وهي على صنفين فمنها ما يكون لكلّ حلقة منهـا رجلان (chilognates) ومنها ما لا يكون في حلقاتهِ غير رجل واحدة (chilopodes) والصنف الاوّل لا بأس منهُ فانهُ لا يؤذي البتَّة (الشكل ١) . وهو يخالف الصنف الآخر في تركيبهِ فانَّ رأسهُ عموديّ وجسمهُ اسطوانيّ مخروط ونضرب عنهُ صفحاً. اما الصنف الثاني فهو الجنس الضارّ واخصّ انواعهِ امّ اربع واربعين (الشكل ٢)



الشكل ٣ (١ ابرة السمّ)



الشكل ٤ (١ غدة السمّ)

﴿ وصفها ﴾ تعيش هـذه الدويّبة في تخاريب الحجارة والشجر وفي المزابل وتحت النباتات والاعشاب النديَّة وفي الاخشاب المسوّسة المنخورة. واذا باضت جعلت بيضها في مكان معتزل. ويولد الصغار في بعض اجناسها دون ارجل كالدود ثمَّ تتولّد لها الارجل بالتوالي. وغيرها تولد تامَّة الحلقات والابر

وارجل امّ اربع واربعين متشابهة الّا الزوجين الاوّلين والزوجين الاخيرين فالزوج الاوّل اطول ممَّا سواهُ تستعين بهِ الدويّبة كفكّين تتناول بهما طعامها. يليهِ زوج ثانٍ اقصر كالكلّاب وسيأتي وصفهُ. وبعد هذين الزوجين عدَّة ارجل متجانسة تجري عليها الهامَّة. والزوج الذي قبل الاخير اطول من ارجل السير واطول منهُ الزوج الاخير. وامّ اربع واربعين تقتات بلحوم الحيوان كالذباب والعناكب

﴿ سمّها ﴾ لامّ اربع واربعين شراسة اخلاق وخبث يظهران منها في اصطياد قوتها فانها اذا سطت على هامَّة تكمّشت عليها بمخاليبها الجارحة ثمَّ نفثت فيها سمّها الى ان تُميتها فتغتذي بها. فأذى امّ اربع واربعين بابرها اوّلا التي تنشب في عدوّها نشوبا يصعب فصمهُ. وثانيا بسمّها وهو الاذى الخطر

وكان العلماء حتى القرن الماضي يجهلون اين مستودع سمّهـا ومجراهُ الى ان وقف العلّامة لوتنهك (Leuwenhoeck) على منفذهِ فانهُ كان يثير الحيوان ويرصدهُ فكان يرى نقطة من السمّ دقيقة تسيل من زوج ابرتهِ الثاني الواقع تحت الزوج الفكّي. لكن

هذا العالم مع اكتشافهِ لمخرج السمّ لم يقف على الغدَّة التي يتكوّن فيها السمّ فتوفّق الى معرفة ذلك الطبيعيّ نيوبرت (Newport) ودرس العلّامة ماك ليود (Mac Leod) تلك الغدّة درساً مدقّقاً سنة ١٨٧١ وقد ابانا انّ موقع هذه الغدة في اوّل حلقة من الحيوان وهي الواقعة وراء رأسهِ (انظر الشكلين ٣ و٤) فاذا تشبَّث بصيدهِ مزّقهُ بابرهِ ثمّ ضغط غدّتهُ السامّة فنفث منها السمّ الذي يصبُّهُ في الجرح فيخدر الحيوان بعد قليل ويموت

امّا مفعول هذا السمّ فعظمهُ في الهوامّ الصغيرة ذات المفاصل الرجليّة (arthro-podes) فانهُ يقتلها لا محالة ولهُ فعل اخفّ في الزحّافات والاسماك وفي العقرب نفسهِ. امّا الدود فلا فعل لهُ فيها وكذلك الحيوانات التي من جنسهِ فانّها لا تتأذى بهِ

وليس الانسان بخلو من شرّ امّ اربع واربعين فانّها اذا ثار ثائرها لسعتهُ وآذتهُ. ولأمّ اربع واربعين لسعتان الواحدة شتويّة وهي خفيفة تكاد لا تزيد على وجع لسع البعوضة وحكّتها تزول بعد ساعة. والاخرى تكون في الربيع فانّ للهامّة شرّةً واذى كبيرين حيث الملسوع بها يشعر بوجع اليم في محل اللسع الذي يحمرّ وينتفخ فاذا لسع الحيوان في اصبعهِ انتفخت لسمهِ اليد كلّها والساعد. لولا انهُ لا يكفي لقتلهِ

﴿ مداواة لسعها ﴾ قد ثبت بالاختبار انّ هـذه الهامّة لا تأتي بأذًى ان لم يزعجها الانسان فالاولى بهِ ان رآها ولم يقدر على قتلهـا ان يتركها وشأنها. وكذلك ان لسعتك فايّاك ان تنزعها عنك بعنف فانّ خبثها يتفاقم ويزيد سمُّها. امّا الدواء لمعالجة لسعها فان تكوي محلّ الجرح كيًّا خفيفًا فيخمد الوجع ويجوز ان تحقـنهُ بحامض الكروميك على قدر جزئين في مئة جزء من الماء وكذلك يُحقن بقليل من المورفين او باللبخات الرطبة فيزول الالم بعد قليل

قائمة المخطوطات الشرقيّة في ليبسيك

نظر الاب لويس شيخو اليسوعيّ

من اعظم الفوائد التي جنيناها من تقدُّم العلوم الشرقيَّة نشر القوائم الموسَّعة في وصف المخطوطات المصونة في حواضر اوربة. فكانت هذه الكنوز الادبيَّة حتَّى اواسط القرن الاخير كاللآلئ الثمينة في مغاصها وكالحجارة الكريمة في معدنها لا يعرفهـا الَّا

القليلون ممَّن يمكنهم التقرُّب الى مصادرها . ومنذ ذاك الوقت طُبعت اللوائح المدقّقة في وصف تلك الخبيَّات نخص بالذكر منها قائمة مخطوطات لندن العربيَّة لشرل ريو (Rieu) ومخطوطات ليدن للافاضل دوزي (Dozy) ودي خوي (de Goeje) وهوتسما (Houtsma) ودي ينغ (de Jong) ومخطوطات باريس للاديبَين دي سلان (G. de Slane) وزوتنبرغ (Zotenberg) ومخطوطات برلين للعلّامة هلوَرْدت (Ahlwardt) وقسم من مخطوطات مجريط للمستشرق درنبورغ (Derenbourg)

ولا يظننَّ القارئ ان هذا العمل قريب المنال يقوم به ايُّ عالم كان فانَّ الامر على خلاف ذلك يستدعي معارف جمة واطّلاعات متعدّدة ونظرًا دقيقًا لانَّ اصحاب هذه القوائم لا يكتفون بسرد اسماء الكتب مع ذكر مؤلّفيها كما يفعل الكتبيُّون في الشرق بل تراهم قد وسَّعوا نطاق ابحاثهم حتّى اذا وصفوا كتابًا باشروا بعناية طولهِ وعرضهِ ووصف ظاهرهِ ونوع تجليدهِ وتعريف خطّهِ وعدد صفحاتهِ واسطر كلّ صفحة منهُ . ثمَّ يتخطّون الى ما هو اجدى نفعًا من ذلك فيعرّفون مضمون الكتاب وينقلون اسطرًا من مطلعهِ ويعدّدون اقسامهُ وابوابهُ وفصولهُ وان وجدوا فيها ما يستحقُّ الذكر دوّنوهُ بالتدقيق ثم يخصّون بالنظر صاحب الكتاب فيشيرون الى تاريخهِ او يدلّون على الكتب التي وردت فيها ترجمتهُ . ثمَّ يوجّهون النظر الى النسخة وتعريف الناسخ مع بيان كلامهِ في آخر نسختهِ . ويزيدون على ذلك إعلامًا بعرض نسختهم الموصوفة على النسخ غيرها المعروفة في الحواضر الكبرى فيبيّنون مزايا كلّ نسخة واصلها ومصدرها ليكون القارئ على بيّنة من خواص كلّ النسخ . الى غير ذلك من الفوائد التي تجعل هذه القوائم كمجموع علوم شتَّى تُغني المطالع عن الأسفار لنظر تلك المخطوطات في خزائنها لاستطلاع وتمييز خواصّها . وما لا يجوز الضربُ عنهُ انَّ اصحاب هذه القوائم يضيفون الى عملهم فهارس متعدّدة للموادّ ولكل الاعلام والجدول لسماء الكتب على طريقة حروف المعجم بحيث يتمكّن القارئ من مطلوبهِ على اقرب منوال

فهذه الاوصاف التي قدّمناها لتعريف قوائم المخطوطات تجدها كلّها في تأليف حديث تولّاهُ احد كبار المستشرقين الدكتور فولرس ناظر المكتبة الخديويَّة سابقًا واستاذ اللغات الشرقيَّة في كليَّة يانا (Iéna) حاضرًا وهو قائمة مخطوطات كليَّة ليبسيك الشرقيَّة . وكتابهُ هذا عبارة عن مجلّد ضخم تبلغ صفحاتهُ ٥٠٨ وهو مطبوع احسن

طبع على ذمة الكتبي اوتو هارسوڤتس (١ وقد اشتغل فيه ست سنوات فجاء تحفة تزدان بها المكاتب الشرقيَّة يحقُّ لصاحبها الشكر العميم والثناء الجميل

وها نحن نلخّص هنا بعض محتوياته ليعرف القرّاء فضل مصنّفه . يحتوي الكتاب اوصاف ١١٢٠ كتاب مخطوط في اللغات الشرقيَّة قسمها الاكبر في العربيَّة يبلغ عددها بين مخطوطات اسلاميَّة ونصرانيَّة ويهوديَّة ٩٢٠ كتاباً . ثمَّ في الفارسيَّة وعدد مخطوطاتها ١٠٣ . ثمَّ في التركيَّة وعددها ٤٩ . ثمَّ في العبرانيَّة وعددها ١٧ . ثمَّ في القبطيَّة وعددها ١١ . وكتب اخرى قليلة في الهندستانيَّة والارمنيَّة والكرجيَّة والسامريَّة وفي اللغة المصريَّة الهيروغليفيَّة . امَّا الكتب القبطيَّة فقد تولَّى وصفها المعلّم ليپولد (J. Leipoldt)

ولمَّا كان اخطر هذه المخطوطات واعظمها شأناً انَّما هي العربيَّة احببنا ان نتّسع قليلًا في تعريفها . وقد قسم جناب المؤلف هذه الخطّيات الى ٤٥ باباً على حسب المواضيع مباشراً بالعموميَّات كالتآليف الموضوعة في اوصاف الكتب اوالجاميع العلميَّة تليها الدينيَّات كالمصاحف والتفاسير والسير والحديث وعلم الكلام والتصوُّف والادعية وما يلحق بها . ومن الكتب الدينيَّة العزيزة التي حصلت عليها مكتبة ليبسيك كتاب (ع١٠٦) بدؤ الدنيا وقصص الانبياء للكسائي ومنهُ اخذ الثعلبيّ في كتاب العرائس . وكتاب (ع ١٥٨) المواعظ لابي عبيد القاسم بن سلَّام المتوفى سنة ٢٢٣ هـ (٨٤١م) . وكتاب (ع ٢١٢) الدرّ المكتون في اسئلة ما كان وما يكون للترمذي . وكتاب (ع٢٢٧) انس الحاضر وزاد المسافر لفخر الدين الرازيّ . وكتاب (ع ٢٩٥ و٢٩٦) الزهد لعبدالله بن مبارك المروزي مع زيادات شتَّى . ثمَّ اتبع المؤلف هذه الابواب بوصف الكتب الفقهيَّة العموميَّة والخصوصيَّة على حسب المذاهب الاربعة اعني المذهب الحنفيّ ثمَّ الشافعي ثمَّ المالكي ثم الحنبلي مع فصل في كتب الفرائض . وبعد هذا كتب السياسة والتدبير منها (ع ٣٩٩) كتاب تفيس لبدر الدين محمَّد ابن جماعة الكنانيّ

---

١) وهذا اسم الكتاب :
Katalog der Handschriften der Universitaets-Bibliothek zu Leipzig.—II. Die Islamischen, Christlich-Orientalischen, Juedischen und Samaritanischen Handschriften von **K. Vollers**, *Leipzig, Otto Harrassowitz*. 1906, *VI*-508 SS.

الحموي اسمهُ تحرير الاحكام في تدبير اهل الاسلام . وفي اثره كتب آداب البحث ثم كتب النحو اوّلها كتاب الجُمَل في النحو من اجلّ الكتب واتقنها ثمّ شرح جُمَل ابي القاسم الزجّاجي ثمّ كتاب ابن جنّي المعروف بالمقتصب في اسم المفعول وقد طُبع حديثاً في المانية . وممّا يجدر ذكرهُ في مخطوطات علم اللغة كتاب (ع ٤٦٣) تحبير الموشّين في التعبير بالسين والشين للفيروزابادي صاحب القاموس . وكتاب (ع ٤٦٤) الدرّ اللقيط في اغلاط القاموس المحيط للداودي

ويعقب كتبَ اللغة كتب البيان ثمّ العروض ثمّ الرسائل ثمّ الادب والشعر نخصّ منها بالذكر كتاب (ع ٤٧٠) العمدة لابن الرشيق القيرواني . وكتاب (ع ٥١٠) المفضّليات . وكتاب (ع ٥٠٩) اخبار الاجواد لابي علي المحسّن التنوخي . وكتاب (ع ٥٩٢) منشآت بديع الزمان . وكتاب (ع ٦٠٦) درر الاداب ومحاسن ذوي الالباب . وكتاب (ع ٦٠٧) زواهر الجواهر لاسماعيل بن عبد الرحمان الانصاري الكاتب . وكتاب (ع ٦٢٠) تذكرة الصفدي

وقد وجدنا في باب التاريخ وتراجم الفضلاء بعض الكتب النادرة . منها (ع ٦٥٠) كتاب منهاج القاصدين للامام ابن قدامة . وقسم (ع ٦٦٢) من كتاب عقود الجمان في تاريخ الزمان للزملكاني . وكتاب (ع ٦٧٦) الوافي للصفدي . وكتاب (ع ٦٧٨) المنتهى في وفيات اهل النهى للسيّد حمزة بن احمد الحسيني . وكتاب (ع ٦٨٨) مشاهير علماء الامصار لابي حاتم محمّد البستي . وكتاب (ع ٧١٤) تاريخ الحكماء لجلال الدين القفطي الذي طُبع حديثاً

وفي القسم الباقي ابواب شتّى كالرحل والنبات والحيوان والجغرافيّة والهيئة والطبّ والصيدلة فيها ايضاً كتب حسنة يطول وصفها ومنها كذلك بعض المخطوطات النصرانية التي ليس تحتها كبير امر لا نتعرّض لذكرها . وفي ما قلنا كفاية ليعرف القرّاء غنى هذه المكتبة بالمخطوطات العربيّة وفضل واصفها لا نأخذ عليه الّا امرًا واحدًا وهو سكوتهُ عن تاريخ هذه المكتبة ومن اين جُمعت هذه المخطوطات الشرقية ومن سعى بجمعها فانّ في ذلك فائدة لا تخفى وعلى كلّ حال نشكر همّة مؤلف هذا الكتاب ونتمنّى لتأليفهِ رواجاً في الشرق والغرب

مطبوعات شرقية جديدة

Jean Guiraud: **Questions d'Histoire et d'Archéologie**. Paris, Lecoffre, 1906, in-16, pp. 304.

ابحاث تاريخيّة واثريّة

جمع صاحب هذا الكتاب عدّة مقالات كتبها في امور تاريخيّة واثريّة متباينة كمجيء القديس بطرس الى رومية ومعاني الطقوس الكاثوليكيّة وترجمة العلّامة الاثري يوحنّا دي روسي (١٨٢٢-١٨٩٤) والمقابلة بين القديسين عبدالاحد وفرنسيس الاسيزي وبعض دروس في شيعة الالبيجيين والبدع التي ظهرت في القرون المتوسّطة. وكلّ هذه الابحاث قد ابدى فيها الكاتب وهو احد اساتذة كليّة يزنسون علماً واسعاً وتدقيقاً في طلب الحقيقة. وممّا آثرناه في هذه الدروس ما كتبهُ صاحبها في البدعة الالبيجيّة والشيع المجانسة لها التي افسدت العقول وكادت تنقض اساس الهيئة الاجتماعيّة في الاجيال الوسطى وبيّن حكمة الكنيسة اذ قاومتها وتشدّدت على أنصارها وقهرتهم بالقوّة ولولا ذلك لتشوّهت بها الآداب واستفحل الشرّ وتضعضعت اركان الممالك. وكان بعض هذه الشيع كشيعة الكاثار يجدّد فظائع المانويين وهم يتستّرون بمظاهر الدين س. ر

E. A. Wallis Budge: **The Egyptian Heaven and Hell.** (Books on Egypt and Chaldæa, XX-XXII). *London, Kegan Paul*, 1905, in-8, 3 vols.

جنّة المصريين الاقدمين وجهنّمهم

لا شيء في الآثار المصريّة قد تكرّر في المدافن والنقوش والكتابات كاعتقاد المصريين في الآخرة وخلود النفس امّا في الافراح الابديّة وامّا في العذابات الدائمة حتى انهُ يمكن القول انّ معظم ما بلغنا من آثارهم ينوط بالآخرة فلا ترى قبرًا او هرماً او ناووساً او كفناً ألّا فيهِ الصلوات والادعية والطقوس التي تحتاج اليها الموتى ليحظوا بنصيب صالح بين الآلهة وبسعادة مخلّدة. وبين الآثار التي تحتوي اوصافاً واسعة للجنّة والجحيم كتابان شاعا بين قدماء المصريين يُدعى احدهما «ما يوجد في الطوات» والطوات عندهم الجنّة ويسمّى الثاني «كتاب الابواب» اعني الابواب التي تعبر بها النفوس قبل ادراكها دار البقاء. وهذان الكتابان كان نشرهما سابقاً العلّامتان مسپرو

ولوفيڤر (Lefèbvre) الّا انهما لم ينتقدا هذين التأليفين انتقادًا كافيًا ولم يقابلا بينهما ليستخلصا منهما تعاليم المصريين الاقدمين في احوال الآخرة فسدّ العلامة بودج احد علماء العاديّات المصريّة هذه الثلمة فاعاد طبع الكتابين ودقّق في نقلهما الى الانكليزيّة وذيّلهما بالحواشي وقدّم عليهما مقدّمات تنبئ برسوخ قدم صاحبها بالآثار المصريّة وقد اعجبتنا طريقتهُ في الكتابة لوضوحها وسلاستها وفصيح عبارتها وان كنّا لا نسلّم لهُ ببعض المزاعم التي ذهب اليها دون برهان كافٍ الاب ماريوس شان

شذرات

آثار قديمة — لا يمرُّ علينا اسبوع دون ان نسمع باكتشاف آثار قديمة يستخرجها من بطن الحفائر ارباب البحث وطلبة العاديّات ولمصر في ذلك السبق فان المتحف الجديد الذي شيّدتهُ الحكومة لا يلبث ان يضيق بهذه الآثار التي تخرج من خباياها كلّ يوم . فمن ذلك عدّة انصاب فرعونيّة اكتشفها في سقّارة العلّامة الانكليزي كويبل . ومنها جواهر ثمينة ومصوغات جميلة وجدها المسيو ادغار في طوخ الجراموس . ومنها ادراج ملفوفة طول بعضها اكثر من اربعة امتار وعددها خمسون وجدوها في قوم شقارون وفيها كتابات يونانيّة غاية في البهاء والحسن يحتوي بعضها سندات ووصايا وحججًا باللغة اليونانيّة . وكان بينها ١٢٠٠ بيت من قصائد هزليّة لشاعر شهير اسمهُ ميندر المتوفى سنة ٢٩٠ ق م . وكانت كلها ضائعة ومنها ايضًا آثار مدفنيّة متعدّدة اكتشفها في مصر المسيو شياپارلي ناظر متحف تورين ونقلها الى ايطاليـة في ٢٠٠ صندوق . ومما وجدوهُ في العراق نوط مصطنع بالفسيفساء تاريخهُ القرن الثاني بعد المسيح يمثّل صورة بلاد غاليا على مثال سيّدة جليلة المنظر قويّة البنية رأسها متوّج باكليل من البروج وتحت صورتها اسم « غاليا » باليونانيّة وهو اقدم اثر من جنسهِ اقتناهُ متحف برلين

سخاء الانكليز لمشروعاتهم الدينيّة — كلّ يعلم انّ لارباب الدين في انكلترة رواتب واسعة ورثوها من اوقاف الكنيسة الكاثوليكيّة سابقًا . ولا يكتفي الاهلون بذلك فانّ لهم ايضًا شركات تقوم باعباء المشروعات الخيريّة الدينيّة وتجمع الحسنات

الاختيارية لذلك. وقد اطّلعنا على برنامج هذه الصدقات للسنة ١٩٠٦ فاذا هي تبلغ ١٩٦,٨٥٤,١٧٥ فرنكاً منها للرسالات الاجنبيَّة ٢٠,٦٢٢,٤٧٥ ف وللرسالات الداخليَّة ١٥,٩٧٤,٦٠٢ ف ومنها لتهذيب الاحداث وللمطبوعات التقويَّة ٢٦,٤٠٠,٠٠٠ ف ومنها لمساعدة ارباب الدين ٥,٥٩٣,٠٠٠ الخ. فهذه الارقام دليل لامع على اعتبار الانكليز للمشروعات الدينيَّة وعلى سخائهم في مساعدتها

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة الخوري يوسف البواري ما هو اصل لفظة دفرون للقرية اللبنانيَّة المعروفة

اسم دفرون

ج هي لفظة آراميَّة وَفْثُونُا ومعناها الشربين والعرعر وقيل السرو

س وكتب ا. ت. من ادباء البلدة: قد قرأنا في مجلَّة مصريَّة انَّ السيّد المسيح قبل بشارته لبني اسرائيل في سنّ الثلاثين رحل الى الهند واخذ عن علمائها افهذا صحيح

المسيح في الهند

ج هذه احدى الخرافات العديدة التي تنشرها المجلّات المصريَّة ليس لها من الصحّة الَّا تخيّلات بعض القصّاصين واوهامهم اقتطفوها من الكتابات المزوَّرة. والانجيل الطاهر يعلّمنا انَّ السيّد المسيح لذكرهِ السجود قضى ثلاثين سنةً من عمرهِ في الشغل والطاعة لوالدتهِ ولوالدهِ بالذخيرة ليعلّم البشر بامثالهِ وفضائلهِ السامية قبل ان يرشدهم باقوالهِ. وقد خرج مرَّةً واحدة عن هذه الخطَّة ليفيدنا انهُ آثر ذلك باختيارهِ

س وسأل من القاهرة حضرة الاخ بلاج من اخوة المدارس المسيحيَّة من هما ابو الغيلان وطلحة الوارد ذكرهما في البيتين الآتيين:

١: جزى بنوهُ ابا الغيلان عن كبرٍ وحسن فعلٍ كما يُجزى سنمَّارُ

٢: او ما رأيت المجد القى رحلهُ في آل طلحة ثمَّ لم يتحوَّلِ

ابو الغيلان — طلحة

ج ورد البيت الاوَّل في عدَّة تآليف يستشهد بهِ العلماء في مثل سنمّار الرومي الذي نال بدلًا من الخير شرًّا وقصَّتهُ معروفة. لكنَّ ابا غيلان المذكور اسمهُ في البيت لم نجد من يتعرَّض لذكرهِ البتَّة في كتب العرب التي لدينا. امَّا طلحة فهو ابو حرب طلحة بن عبدالله بن خلف الخزاعي الملقَّب بطلحة الطلحات احد الذين يُضرب بجودهم المثل في الاسلام وذكرهُ مستفيض وفي عهدهِ اشتهر بالجود طلحة بن عبدالله بن عوف ل. ش